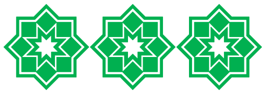


لؤلؤة الحسن الساطعة

في بعض مناقب ذي الأسرار اللامعة
ختم أهل العرفان سيدنا ومولانا
السيد محمد عثمان الميرغني المكي



تأليف

السيد جعفر الصادق الميرغني بن الإمام الختم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

بِهِ الإِعَانَةُ بَدْءاً وَخَتْماً، وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، ذَاتاً وَوَصْفاً وَاسْماً

الحمد لله الذي أطلع في سماء السيادة شمس الـذات المحمديـة ساطعة الأنوار ۞ وأينع في رياض السعادة الدرة الأحمدية عالية المنار ۞ وأبدع من زواهر الجواهر الفاطمية غرر الأسـرار، فيـا حبـذا تلـك الأسرار ۞ حمداً يقابل جزيل فضله بالانتساب إلـيهم والتعلـق بهـم مدى الأزمان.

وأشكره على أن دلنـا بالتمسـك والانتمـاء لخلاصـة الوجـود ۞ المطهرين بنص الآيات تطهيراً سـبق لهـم فـي الأزل بخـالص الكـرم والجود ۞ وأوجب لهم إنافة المقـام وعلـوّ القـدر فـي عـالم الغيـب والشهود ۞ وصرّحت بذلك ألسنة أفواه آية {رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ}، فبان بذلك رفع الشأن.

وأشهد أن لا إله إلا اللَّه الحاكم بالتقدم لهذه النسبة في الدارين ۞ المانح لهم الشفاعة في أمة جدّهم سيد الكونين ۞ المودع سر النبـوّة فيهم، فبه دائماً صباح وجوههم مسفرة تقرّ برؤيتها كل عين ۞ وزوايا قلوبهم بمحاسن الأخلاق ومكارم الأسرار تتأزز أزيزاً بإعلان.

وأشهد أن سيدنا محمداً صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمْ وليّ هذه النعمة وينبوعها ۞ وغارس غصون هذه الشجرة ومصلح فروعها ۞ الباسط عليهم من تيجان الحضرة الصمدانية خلعاً تضيء ضياء الشمس في طلوعها ۞ القائل: (إن فاطمة اتصفت بالإحصان فحرّمها اللَّه وذريتها على النيران)، صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمْ صلاةً وسلاماً يرتعان بين يدي الآل ۞ يبتغيان بذلك أحسن الفوز لقائلها بحصول الآمال ۞ ويسطعان في الرجوعِ بأنوار من محيا ختم المعارف تؤذن بالسرور والإقبال ۞ متلازمين ما رفعت أعلام علامات مناقب الأصفياء على ممر الأحيان.

أما بعد، فهذه لآلي منيرة زاهرة ۞ ويواقيت باهرة مرصعة فاخرة، استخرجتها أناملٌ ذليلة قاصرة ۞ من فائض بحر الفيض وواسع الامتنان ۞ تستأنس بها نفوس أهل المحبة، وتتنوّر بها مجالس الإخوان والأحبة ۞ ببثّ مناقب من بذكره ننال من اللَّه وصله وقربه ۞ لتنشرح الصدور وصميم الجنان. وسميتها: [لؤلؤة الحسن الساطعة في بعض مناقب ذي الأسرار اللامعة، والفيوضات الوهبية النافعة في تعريف ختم أعلا مقام تيجان العرفان].

ورتبتها على ثلاثة أبواب وخاتمة ۞ يكون كلّ منها لدرر البركات ناظمة ۞ ويشتمل كل باب على فصلين فكن عالمه، ينادیان أن هلمّ لاقتطاف زهرة روضة مناقب السائد مولانا السيد محمد عثمان.




أنزل الله على ضريحه سحائب الرحمة والرضوان
وأمدنا بمدده في كل وقت وأوان

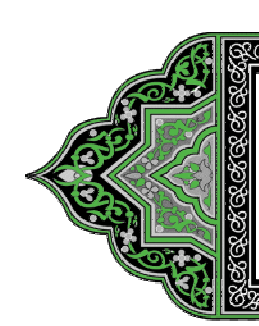
الباب الأول، وفيه فصلان

الفصل الأول: في ذكر نسبه الشريف

فأقول: هو السيد الملاذ الكهف الكامل الأصيل ۞ الجامع لنوعيْ العزّ وراثةً واكتساباً، الطود الجليل ۞ الذي أسقت رياض مكارمه معصرات العناية من بحر العرفان ۞ الواقعة عليه وقائع الفتح اللدُني من عين ناموس مليك الجود والإحسان ۞ المراد المخطوب لترصيع تيجان القبول والامتنان ۞ الصاعد على معاريج العزّ الأسمى ۞ للمقام الذي على غيره ارتفع وسما ۞ هلال فلك السيادة والولاية الكبرى ۞ قطب دائرة أهل العنايات، وعين أرباب السعادات دنيا وأخرى ۞ المبلج صبح بركاته لإضاءة ظلم الزمان إذا عسعس ۞ الدالّ على الله تعالى بلسان الحال والمقال في كل لحظة وطرفة ونفس ۞ الإمام الملقب بلسان ابن عدنان، أبو محمد ختم المعارف مولانا السيد محمد عثمان ابن البركة الخالصة الكريمة ۞ والدرة الباهرة اليتيمة ۞ الحائز لطرفيْ العز والفخر، سيدنا السيد محمد أبي بكر، ابن بدر السادة القادة الأشراف ۞ وجمال الأولياء الكرام العفاف ۞ قطب أوانه في الظاهر

والغيوب ۞ مولانا السيد عبد اللّٰه المحجوب ۞ ابن السيد إبراهيم ابن السيد حسن ابن السيد محمد أمين ابن السيد علـي ميرغنـي ۞ فمنـه لقنهم بالإمارة والغنى المعبر عنهما بأمير غني ۞ ومعنى أميـر بلســان الفارسية الشريف ۞ وغني بما وهبه اللّٰه مـن سـرّه الظريـف ۞ ابـن السيد حسن بن مير خورد بن حيدر بن حسن بن عبد اللّٰه بن علـي بـن حسن ابن السيد حيدر بن مير خود بن حسن بن أحمـد بـن علـي بـن إبراهيم بن يحيى بن حسن بن أبي بكر بن علي بن محمد بن إســماعيل بن مير خورد البخاري بن عمر بن علي بن عثمان بن علـي التقـي بـن حسن الخالص بن علي الهادي بن محمد الجواد بـن علـي الرضـا بـن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين بـن الحسين بن عليّ بن أبي طالب كرم اللّٰه وجهه، وابـن الزهـراء المنيـرة البتول ۞ بضعة سيدنا الحبيب الكامل الرسول ۞ فحبـذا مـن نسـب نظمته أنامل عروس مملكة الرحمن ۞ فانهض له وسل من اللّٰه الأمان ۞

نسب لـه الـرحمن أيـد شـأنه	بعروس حضرته فحـاز كمـالا
فترى المحافـل بهجـة وتنعمـاً	بســماعه تـزداد منـه جـلالا
نسب تحب النيـرات بفخرهـا	لتنــال مــن عليـا ثـراه جمـالا
فلذكره تضـع الفحـول رقابهـا	لتحوز من جدوى سـناه نـوالا




الفصل الثاني : في ذكره مولده المنيف

ولد نفعنا اللَّه به في أرض الطـائف فـي قريـة السـلامة ۞ الغنيـة باسمها عن التعريف والعلامة ۞ فأبرز من أطباق العناية يـتلألأ نـوراً يوم الأربعاء في شهر ربيع الخيرات ۞ بعد الألف والمائتين وثمانية من هجرة سيد السادات ۞ ماتت أمه في سابع ولادته أو ما قرب من ذلك ۞ ليصير في قدم الإرث النبوي من حينئذ فيحوز ما هنالـك ۞ ربي في حجر العزّ والسعادة والرعاية ۞ ونشأ في كفالة الخير والصلاح وتوالي العناية ۞ ووقع في رضاعه من الكرامات ما يومئ أنه سيكون من أهل كمال الخلافة عن الصادق المأمون ۞ وهو ما أخبر به من يوثق به من أهل مكة ۞ من أهل الصلاح والبركة ۞ أن أمـه فـي الرضـاع أخبرت أنها كانت أرضعته مع ابن لها، فإذا أعطته ثدي صـاحبه أبـاه وتركه، شبّ شباب السعد والسعادة والصلاح ۞ واختطفته من صغره عقبان الهدى والنجاح ۞ حفظ القرآن قبل المراهقة قبيـل البلـوغ ۞ وحضر في العلوم الظاهرة على أكابرة تجاه البيـت العتيـق حتـى أتـاه البلوغ ۞ وبعد ذلك هبـت عليـه أريـاح الخصوصـية ۞ وانتشـقت

مشامه من نسمات المواهب الرحمانية ۞ فتعلقت همته بالتنسك وأنواع العبادات، فشاهد المبصر اعتزاله وانفراده ۞ ولم يزل يتمسك بالطرائق واحدة بعد واحدة ۞ حتى أراد الله له إنجاز مقدوره وموعوده ۞ نفث في روعه وكيل إلهام الهداية ۞ لصحبة الإمام الجليل سيد أهل الولاية ۞ قطب دائرة العناية النفيس ۞ أبي محمد مولانا السيد أحمد بن إدريس ۞ فرضي به مريداً وابناً بارّاً ۞ وشهد له بالصدق والإخلاص مراراً ۞ فتوجه كلّ منهما لصاحبه بما عليه لإنالة غاية المراد ۞ وكلاهما فيما طلب منه أحسن إحساناً وأجاد ۞ فأمر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ شيخه المذكور آنفاً بإرشاده ۞ وهو يقول: صغير، فالعناية توجهت به من مولاه لإسعاده ۞ فكان أمره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ لشيخه بإمداده ثلاث مرات ۞ فعند الثالثة قال لشيخه مده فيدي ويدك في إنائه، لا تخشى عليه المفسدات ۞ فانهلت ديم الإمدادات والسواطع ۞ وتوالت بروق الكمال واللوامع ۞

وسمعته رضي اللَّه عنه يقول شاكراً: الذي حصل لي في ثاني يوم الفتح من السرّ باهراً لم ينله غيري إلا بعد مضي الأعوام والدهور ۞ ومكابدة الساعات في العشايا والبكور ۞ فلو قلنا ما أناله اللَّه من منح أعطاه ۞ لخفنا افتتاناً من غيرنا وغلطاً ۞ فالكريم فعّال لما يريد ۞ ويختصّ برحمته من يشاء من العبيد ۞




الفصل الثاني : وفيه فصلان

الفصل الأول : في ذكر نزر من أوصافه الخلقية

هو رضي اللّٰه تعالى عنه قد جمّله اللّٰه تعالى و جلله ۞ وعلى أحسن تقويم صوّره وكمّله ۞ فكان رضي اللّٰه عنه ربعة في اعتـدال، يتمايـل تمايل الغصون ۞ يسـطع خروجـه فـي غسـق الليـل سـطع اليـاقوت المكنون ۞ في أنفه طول مع استقامة وسلامة ۞ أقناه نيرة مع بهجـة ونفاسة ۞ لحيته إلى الطول أقرب مع الكثافـة المحمـودة ۞ شـعرها كسبائك اللؤلؤ المذهبة المنقودة ۞ أزهر الخدّين كالورد والريحان ۞ مع سهولة ووضوح زانهما رونق اللمعان ۞ معسول الشـفتين بينهمـا بريق الشنب ۞ كأنهما منبعان لأنواع الشهد والضرب ۞ عينه احتوتْ على محاسن أحداق الظباء في الفلا ۞ وفي ضمنهما سـهام الحتـف حولها نفوس العاشقين قتلى ۞ يحير الناظر عند افترار الثنايا وكشـف الشفاه ۞ تخجل حب الغمام بدر الثغر إذا هو أبداه ۞ يتكلم من جوانبه إذا أراد فصل الخطاب ۞ مريض جوارح المحبة عند سـماعه انـتعش

وطاب ❁ أزهر اللون عند كل شعرة في بدنه سطعة نور ❁ إن تجرّد عن مواضع مستراته أحقر البدور ❁ متناسب الأعضاء فهي إلى الضخامة أقرب ❁ طيب الكراديس بل من الاعتدال أدنى وأنسب ❁ رداء الحسن بين كتفيه مسدول ❁ وخلع المهابة على الدوام كافة لمن أراد به يصول ❁ إن زعمت استيعاب أوصافه فما أنصفتها ❁ أو رمت إحصاء ما عنده من المحاسن فما ناصفتها ❁ سبحان الجميل والمجمل ❁ الكامل النعوت والمكمل ❁



الفصل الثاني: في ذكر أخلاقه رضي اللَّه عنه

هو رضي اللَّه عنه قد تخلق بالأخلاق المحمدية ❁ واشتمل على النوع الأعظم من الصفات الأحمدية ❁ وسع جميع الواردين عليه بحسن الخلق ❁ ويعامل كل أحد بما يناسبه من فعل ونطق ❁ كثير المزح مع أتباعه والمحبين ❁ لكنه اشتمل فيه على الحق وتربية المريدين ❁ ما رأيت عظيماً مثله في التواضع والانبساط ❁ حسن العشرة تجده على عزيز أوصافها قد احتاط ❁ يبتسم لكلّ من واجهه

بلطف ولين ۞ ويماشي سائر الخلق على ممشاهم وراثة لجده الأمين ۞ فبذلك اختلس رديء طباعهم وأعاضهم من طبعه الحسن المبين ۞ يأتيه المريد حين سماعه به خائفاً مهيباً ۞ ففي ثلاثة أيام يحلـف أن ليس عنده مثلي حبيباً ۞ جماليّ الحـال عليـه أنـوار الجمـال دائمـاً مشرقة ۞ تعرفـه بـذلك إذا وجدتـه بـين جماعـة ورفقـة ۞ يتـألف المساكين والضعفاء، ويلين لهـم جانبـه الكـريم ۞ ويـرحم الأرامـل ويتحمل الإساءة، ويكرم أهل الفضل بطبع سليم ۞

وهو فتى شجاع لا تصده مصادة الكماة ۞ ولا تحركـه عواصـف ريح مطارحة الطغاة ۞ سمحاً إذا افترت زهور أنديته خجلت لها دموع الغمام ۞ طلقاً إذا تبسّم يزري بعروس الحسن عند ذلك الابتسام ۞ قد انحلت براحة إعطائه متقنات الشدائد بأيدي الفقـر ۞ يبـرأ بمـرهم إغاثته مجروح الأفئدة إذا ارتشفت بنصول الدهر ۞ مـا رأت عينـاي والله أشدّ منه لله خوفاً ۞ ولا أحداً مثله على قدم الاتّباع له عكوفاً ۞ إذا أخذ في الوعظ انتفخت أوداجه وصوته علا ۞ وتغير لونه واحمرت بواطن عيونه الكحلى ۞ طالما رأيته آخذاً بلحيتـه يصـوت تصـويت الفاقدات الثكلى ۞ لزيم التحنث تحني مواضع سجوده راكعة لله ۞ مؤدية حقّ الشكر عليها إذا قام بها هذا المحبـوب الأوّاه ۞ لا يغفـل عند غيبوبة المشاهدة ۞ وأنى له ذلك وقد أسرعت به أعـين العنايـة

ليتمكن مما هنالك، ليس له همّ سوى تلاوة القرآن ۞ يأمر دائماً بها ويخطب لأجله الإخوان ۞ يشفق لهذه الأمة شفقة الآباء والأمهات ۞ أبداً تراه مع الأتباع ليس له في غيرهم شيء من الالتفات ۞ فالعذر مني عن الإحاطة بذلك ظاهر ۞ والعجز مع الاعتراف واجب عليّ، فسبحان من منحه المفاخر ۞



الباب الثالث، وفيه فصلان

الفصل الأول: في ذكر بعض كراماته

فأما كراماته رضي الله عنه فليس يحصرها إلا من لها أبدع ۞ فلنتبرّك بذكر نذر منها ليشنف بها السمع ۞ هو في معرفة الضمائر قلّ من يساويه ۞ بل نقطع بعدم من يقاربه فيها أو يجاريه ۞

فمما له وقع في جزيرة سنار في قرية مملكتهم ۞ أنه لمّا قدمها هرع إليه جميع عظمائهم وسفلتهم ۞ وتلقى منه جلّ علمائهم وجهلتهم ۞ وكان فيها رجل يشار إليه بالأصابع ۞ وجميع أهل السلطة وأهل الدين له محب وتابع ۞ منتهية له الرياسة في تلك القرى لوسع علمه، فصار في أعينهم مثله لا يصح أن يرى. فلما سمع

هذا العالم بقدوم الأستاذ، وما وقع له من أولئك من المحبة والتعلق والانقياد أخذته الغيرة أخذاً شافياً ۞ وأرسل إليهم أن كفوا عنه حتى أكون له موافياً ۞ ولم يفد ذلك منهم شيئاً لما رأوه وعاينوا ۞ فقدم بنفسه إليهم لمّا رآهم نبذوه وباينوا ۞ وكان دخوله المشئوم يوم الأربعاء، فبمجرد وصوله أرسل للأستاذ مشيعاً، إنا على محبتكم منطوون ۞ فغداً إن شاء اللّه بكم مجتمعون ۞ ومراده بذلك المناقشة والمناظرة ۞ لظنه أن ليس أحد مثله في العلوم يصادره ۞

فجاءت الأحباب للأستاذ يخبرونه بفساد طويته ۞ وهو أعرف بخبث قصده في سرّه وعلانيته ۞ فما بالي به وحياتك حتى ولا اكترث ۞ ولسان حاله يقول: عما قليل يتحوّل عماره رث ۞ فقامت ريح شديدة يوم الخميس ۞ منعته القدوم والخروج والتدريس، فما جاء عليه الظهر إلا وأعلام الحمام عليه بانت ۞ وأصابته حمة للحمه عن عظامه أبانت ۞ فأرسل رسوله للأستاذ يعتذر إليه من خلف وعده بالزيارة ۞ وأمر بوّابه خوف الشماتة أن يغلق عليه في الحين داره ۞ فواللّه ما فرغ الناس من صلاة الجمعة في الغد إلا وقد نودي في الناس بطلوع روحه ۞ فارتعد لذلك كلّ واحد فانقلب قصده على الضدّ مما رامه ۞ وجعل الناس يذمونه ويصفونه بالملامة ۞ وما درى المسكين أن المحارب لأجله القوى القادر ۞ وغفل عن من آذى ولياً فأنا

لمحاربته متصادر ۞ لكن سبقت سوابق الأقدار ۞ وهذا كـان سـبباً لرفع المقدار ۞ فلا تجد بعد ذلك أحداً مـن النسـاء والصـبيان ۞ إلا وألسنتهم دائماً تلوذ: بشيء لله يا ميرغني محمد عثمان ۞

ومنها: ما وقع له مع أمير بلد عظيم يقال لها كردفـان ۞ احتـوت ولاته على أنواع الظلم والطغيـان ۞ فحـلّ بـه يـدعو إلـى الله بالسرّ والإعلان ۞ حتى تعلق به وأخذ عنه جميع ما بـه مـن رجـال ونسـاء وصبيان ۞ وخلف بهذا البلد وفي قراه ما ينوف عن المائتين ۞ كـلّ منهم يدعو بدعاية لله رب العالمين ۞ فحسده في ذلك البلد من كان قبله منتهية إليه رياستها ۞ وأغرى عليه وعلى أتباعه السلطنة وقـال عما قليل ستكون عند هذه الرجل مملكتها ۞ فقـام عنـد ذلـك أميـر البلدة ينهى الناس عن الاجتماع به ۞ ويتوعدهم بقتله ونهبه ۞ ومـا زادهم ذلك إلا ملازمةً وحضـوراً ۞ وصـاروا حولـه صـافين عشـيةً وبكوراً ۞

فلمّا رأى الأمير عصيان رعيته عليه ۞ والواشي دائماً يركض فيـه ومنه وإليه ۞ أمر بحبس أعيان أتباعه ولذلك أشاع ۞ فأغرى الشـيخ رضي الله عنه من لم يحبس مـن الأتبـاع ۞ وقـال لـه: هـكـذا يفعـل الجبابرة بأتباعك؟ ۞ فقال رضي الله تعالى عنه: إني رأيت القطب وكلّ ولي سالك ۞ غاروا على هذا الظالم الفاجر ۞ عزموا عليه وعلى أصل

مملكته بقطع الدابر ۞ وخرج الشيخ رضي الله عنه من ذلك البلد بالعجل ۞ فما مضى عليهم ثلاثة أشهر إلا وقد أنجز الله الأجل ۞ فخرجت عليهم الدولة المصرية ۞ فأفنوا في ساعة كلّ من كان من أهل تلك الطوية ۞

ومنها: أنه لما دخل براري تلك البلاد ۞ وتعلق به من أهلها ما لا يحصره التعداد ۞ وانتشرت بركته فيهم ۞ وعمت بجميع أركانهم ونواحيهم ۞ جاء إليه رجل من أبناء الأولياء الكاملين ۞ يطلب السلوك ومعه من الناس ما ينوف عن المائتين ۞ فأناخ ببابه رواحله والركاب ۞ وحلّ مئزره وانخضع لذلك الجناب ۞ أدركته في الحين وقائع الأحوال ۞ وعدّ في أيام قليلة من خواص الرجال ۞ فلمّا أذن له في السفر والرجوع معه الإذن والخلافة ۞ وعزم على ذلك وجمع أشتاته وأطرافه ۞ والحال أن هذا الرجل كالملك عند قبائله ۞ ضاعت عليه في الليلة التي عزم في بكرتها السفر جميع ركائبه ۞ وهذا الموضع فيه من اللصوص والقطاع ۞ ما تخشاه الأبطال ويخافه الصنديد الشجاع ۞ فجاءت الدعاة له بذلك مخبرين ۞ فأعلمه المخبر بهذه الحكاية لأنه كان معه من المتحابين ۞ قال: فخرج علينا الشيخ رضي الله عنه لصلاة العشاء فأخبرته بذلك ۞ فأومأ بيده إلى جهة الضياع وقال هنالك ۞ والحال أن الناس قد أيقنوا من حصولها ۞

هو عندهم مجرّب إذا ضاعت لهم أشياء هناك أيقنوا من وصولها ۞ فما أخذت المضاجع ولا تفرّقنا من المجالس ۞ إلا وأناس يقولون: وجدت الجمال بغير حاجز وحابس ۞ فعلمنا أنها بالإشارة المتقدمة حفظت ۞ ولداعي اللّه ووليه وابن رسوله لبت ۞

ومنها: أنه كان في سفر ومعه قافلة عظيمة للتجارة وخلق كثيرون ۞ يبلغون ثلاثمائة أو يزيدون ۞ بعضهم من أرض مصر ومن غيرها بلدة كبيرة من أرض السودان ۞ يقصدونها بالتجارات من سائر الأقاليم والبلدان ۞ وفي ذلك الطريق مفازات ينقطع فيها الماء، فاتفق أن حملوا معهم ماء ففرِغ في تلك الأرجاء، فصار لهم ظمأ عظيم ۞ وخطب جسيم ۞ وذهلوا لِما أصابهم واشتدّ الكرب لما نابهم، فجاء كل من في القافلة إلى هذا الحبر الهمام ۞ يستغيثون به إلى اللّه فيما حل بهم من الضرر والآلام ۞ فأمرهم بأن يرفعوا أمتعتهم من طريق السيل والأمطار ۞ ورفع طرفه إلى السماء متضرعاً إلى اللّه تعالى في تفريج الكرب عن الأنام ۞ فو اللّه ما استتمّ الدعاء إلا وجاءت السماء بالغمام ۞ وروي من ذلك الغيث الخاصّ والعام ۞ فجلّ من منح أولياءه وخصهم بإجابة الدعاء ومحو الشقاء ومزيد التكريم ۞ فقال تعالى في محكم الذكر الحكيم ۞ { أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ

وَلاَ هُمْ يَحْزَنُون ۞ الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُون ۞ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَياةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيم ۞ }.

ومنها: ما حكاه بعض المحبين ۞ أنه قال: لما توجهنا مع الأستاذ قاصدين الحجاز مررنا بأرض أهلها كلهم كافرون ۞ والناس على مجرّد المرور بهم علينا خائفون ۞ ولكن بفضل اللّه أسلم على يده ألف وخمسمائة وهؤلاء المعدودون ۞ فصارت تلك البلاد في الصباح على الصلاة والدين ۞ بعد إمسائهم في الكفر والمدة كلها نحو العشرين ۞

ومنها: لما قدم زائر المدينة عام تسع وثلاثين ۞ بعد مضي الألف والمائتين ۞ جاء أتباعه يقولون: عزمنا أن نسافر، فقال لهم: قال لي جدّي: لابد لكم عندنا من إيداع ثلاث مقابر، فما مضى شهر إلا وقد فرط له ثلاثة أولاد ۞ فمنهم في البقيع شرقي قبة سيدي إبراهيم ابن الرسول سيد الأنداد ۞ هذا وما اجتمع عليه مريد صادق في الطلب والإرادة ۞ إلا وقيل مضيّ ثلاثة أيام أشرقت عليه علامات السعادة ۞ وما مرّ على بلد إلا وأهله اعتصموا بحبل اللّه جميعاً ۞ وحازوا بإمداداته مقاماً رفيعاً ۞ فقد خلف بحول اللّه ما ينوف عن الألف خليفة ۞ كلهم صاروا من أهل المشاهدة للذات المحمدية اللطيفة ۞ أما غير المفتوح عليهم من الخلفاء، فحصرهم لا يرومه ذو وفاء ۞ فلا

تعجب من هذا بل إني سمعته يقول غير ما مرّة: ۞ قال لي الرسول: من صحبك ثلاثة أيام لا يموت إلا ولياً، فهنيئاً لنا بحصول هذه المسرّة ۞



الفصل الثاني: في ذكر مؤلفاته رضي اللَّه عنه

له في هذه الصناعة اليد الطولى ۞ يغترف من بحور المدد ويتلقى ذلك من جهة العلا ۞ انتشرت مؤلفاته في جميع بلاد السودان والحبشة والأرياف ۞ وانتفع بها خلق لا يحصرهم غير ذي الألطاف ۞ صارت متداولة هناك بأيدي العلماء العاملين ۞ ومستعملة كلّ الاستعمال عند أكابر الصالحين ۞ كان يخطر في باله في بعض الأحيان شيء من التصانيف والمؤلفات ۞ ففي أقلّ مدة إذ هو غرّة في محيا السعادات ۞ على أحسن نسج، وأكمل سبك وأفخر نظام ۞ وليس لناظره إلا أن يبادره بخالص الاستسلام ۞ وكثيراً ما كان يغني ويغرّد ويصدح ۞ بإنشاد قصائد نبوية لصدر سامعها تشرح ۞ ويتواجد فيها كلّ التواجد ۞ وقول مرات: هذا الخليل عليه السلام

مثلي يتواجد ۞ جمعت له في ذلك جملة دواوين ۞ يحصل بها لمتعاطيها مدد متين ۞

فسّر القرآن كله بتفسير عظيم سماه [تاج التفاسير لكلام الملك الكبير]. وألّف في الحديث كتاباً جليلاً ۞ جمع فيه أنواع العبادات كلها جمعاً جميلاً ۞ اختصره من جامع الأصول ۞ كتبه في حال إقامته في البلد الحرام الواجب الوصول ۞ وسماه [رحمة الأحد في اقتفاء أثر الرسول الصمد] ۞ قال فيه: قال لي الرسول: سمه بهذا الاسم يا ولد ۞ وشرح مشكاة الأنوار، لجده سيدي عبد اللّه بشرح سماه [مصباح الأسرار] زادها كمالاً وتحلت منه بحلاه ۞ وجعل كتاباً في الوعظ سماه [الوعظ الثمين في تعمير أعصار رمضان الثلاثين] ۞ ونظم عقيدة في التوحيد سماها [منجية العبيد من هول يوم الوعد والوعيد] ۞ وشرح أيضاً ألفية ابن مالك بشرح لطيف وحلّ ظريف، ألفه في خمسة عشر يوماً أو أكثر بقليل ۞ استعمله العلماء في تلك الديار وجعلوا عليه التعويل ۞ وشرح الآجرومية بشرح على المنهج الأقصى ۞ ذكر فيه نوادر المسائل التي بغيره من شرحها لا تحصى ۞ وشرح منظومة البيقوني في علم المصطلح ۞ بشرح على استعماله كلّ من وقف عليه قد اصطلح ۞ وألف منظومة في النحو ضمنها جميع ما في

الآجرومية ۞ مع زيادة حسنة وسماها [غنية الصوفية في علم العربية] ۞

وأما في علم التصوّف فهو رضي اللّٰه عنه قد فجر اللّٰه على لسانه ينابيع الحكمة والأسرار ۞ فينطق بها على الدوام من غير تأمل وإمعان نظر وافتكار ۞ وألف في هذا الفن كتاباً سماه [الخزانة القدسية] ۞ أودع فيه من بديع علوم الحقائق اللدنية ۞ ما يبهر العقل بمجرّد سماعه ۞ فضلاً عن فهمه واستيعابه ۞ ما رأت عيني ولا وعى سمعي في كتب القوم له مثيل ۞ غير الفتوحات، والإنسان الكامل للإمام الجيلي ۞ كشف فيها عن خبايا الأسماء وما فيها من الأسرار ۞ كشفاً صيرها كالشمس في رابعة النهار ۞ بين فيه من المقامات والمنازل ۞ ما لا يتضح إلا لمن كان بها نازل ۞

وصنف حكماً أغنت السالكين عن حكم ابن عطاء ۞ وزادت عليها بعلوم كشفت للمريدين كلّ الغطاء ۞ انتشر النفع بها في علم السلوك وعمّ ۞ فكلّ صوفي لحماها ساق مطايا الشوق وأمّ ۞ سماها [الفيوضات الإلهية المتضمنة للأسرار الحكمية]، شرحها بنفسه شرحاً زادها حسناً ورونقاً ۞ اشتمل فيها على الإشارة بأحاديث استدلالاً على كل ما به فيها نطقاً ۞ وجعل جملة رسائل في هذا المنوال ۞ كالفتح المبروك ، والهبات المقتبسة في أحوال الرجال ۞

وأبرز في مدح الجناب المحمدي نظماً سماه [النـور البـراق فـي الثناء والمدح على النبي المصداق]، كساه اللَّه بهجة على المدائح ۞ حتى استعمله كل مؤمن صالح ۞ ما قرأ في محفل إلا وأطرب جميع السامعين ۞ كأنه المعنيّ بـ قل ومعك روح القدس الأمين ۞ تشـاهد روحانية الأنبياء والصدّيقين عند إنشاده ۞ فيتواجد بسـرّ ذلـك كـل الحاضرين، بشره المصطفى بأنه ما يتلى في محفل إلا ويحضر فيه ۞ ومن لازم ولو على بيت واحد منه لابدّ أن ينشده في الجنة بين يديه۞

وصنف مولداً بديعاً في نظمه وفصاحته ۞ ذكر فيـه مـن غرائـب المعجزات ما يدلّ على علوّ مكانته ۞ كتب فيه أن رسول اللَّه صَـلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمْ قال له إنه يحضر في قراءته ۞ وإن الدعاء يستجاب في ختمه، وعند ذكر ولادته ۞

وألف أربع صلوات عام زيارته المباركة الميمونـة بالإيجـاب ۞ بشرّه جدّه أن كلّ واحد منها طريق لرفع الستر والحجـاب ۞ أكبرهـا وأجلها سماها [فتح ديوان الرسول] ۞ جعلها سبعة أبواب، في كلّ باب خمسة من الفصول ۞ وأمر أتباعه بتلاوتها في كلّ يوم باباً من الأبواب ۞ وقال: بالملازمة عليها يكشف النقـاب ۞ وقبـل هـذه الصـلوات كانت له صلاة مثلثة ۞ يقرأ من مرسومها كلّ يومـاً ثلثـاً ۞ سـماها [الجواهر المستظهرة من الكنوز العلية ۞ في بعـض أوصـاف الـذات

الكريمة المحمدية] ۞ ورتب له راتباً صباحاً ومساءً سماه [تراكم الأنوار لنيل القصد ورفع الأستار] ۞ لا تزال روحانية المصطفى تتجلى فيه ويشاهدها نير البصيرة ۞ عدد حلقه في البلدان، يحتوي على آلاف كثيرة ۞ شاعت بركته في سائر الأقطار ۞ حتى حفظه الرجال والنساء والصغار، وشرحه بشرط نفيس جليل المقدار ۞

وله خمسة توسلات تقال في الصباح والمساء والأسحار ۞ سمى كلاً منها اسما: حبل الوصال، وإكسير قضاء الحاجات والإستغاثة، والمبتهجة، والاستغفار: ۞

أوّلها في أسماء اللّه الحسنى ۞ بشّره الرسول أن كلّ بيت منها طريق للحسنى ۞ والثاني منها في التوسل بأكابر أهل العنايات ۞ من ملائكة وأنبياء وصحب وأولياء ذوي كرامات ۞ والثالث منها في التطفل لحضرة الرسول الأوّاه ۞ آخر كل بيت مصرح بيا رسول اللّه ۞ رابعها وخامسها فيه من التملق لحضرة العزيز الغفار ۞ ما يسلم المريد من أذى النفوس ومصائب الأغيار ۞

وله مناجاة تقرأ في السحر ۞ سماها نفثة الحي القيوم البرّ ۞ وغير ذلك تآليف كثيرة عند مريديه معروفة شهيرة عظيمة النفع جليلة المقدار والشأن ۞ سل عنها إن أردتها وليس الخبر كالعيان ۞

وها أنا أحلي الفصل بذكر نزر مما سمعته مـن البشـائر ۞ لتنـوّر للمحب بصيرته وينجبر لذلك من الفؤاد والخاطر ۞

سمعته مراراً يقول: من رآني أو رأى من رآني إلي خمسة لا تمسـه النّار ۞ يقول قال لي جديّ النبيّ المختار ۞

وكان رضي اللَّه عنه يقول: واللَّه ما قلت في جلّ صلواتي: السـلام عليك أيها النبيّ ۞ إلا وقال: عليك السلام أيها الابـن الطـاهر الزكـيّ السني ۞

ولما قدم المدينة المنـورة الأرجـاء والأركـان ۞ قـال : قـال لـي ساكنها عليه أفضل الصلاة والسلام في كل آن: ۞ من زارني في سنتك هذه والتي قبلها والتي بعدها عندنا مقبول ۞ وكـذلك سـمعته بمنـى قريباً من ذلك في قبول الحج يقول: ۞ لا أحرمنا اللَّه من إمدادات هذا المحبوب لحضرة الأمين ۞ ونفلنا ببركاته وأنفاسه إلي يوم الدين ۞



خاتمة

نسأل الله حسنها

نذكر فيها ما كان أنشده سيدي الوالد الأستاذ رضي اللّٰه تعالى عنه في قيد حياته، وما أشار إليه مما كان بعد وفاته.

فمن كلامه رضي اللّٰه تعالى عنه:

عليك بتقوى اللّٰه إن رمت أن تكن ... من الأوليا أهل المعارف والسنا

فمن لازم التقوى يرى السرّ كله ... ومن حاد عنها فهو في الويل والعنا

وقال رضي اللّٰه عنه:

مهما ذكرتك أبقى منك في قلق ... يا غاية القصد يا سمعي ويا بصري

وإن يمرّ على فكري مجالك لا ... يلذّ لي غيره في سائر العمر

أنت الطعام وأنت الريّ يا سندي ... وأنت روحي جميعي مطمع النظر

وأنت سرّ فؤادي أي وأنت لنا ... نسكي وحجي كذا واللّٰه معتمر

جد لي بوصلك يا روح الكمال وقل ... خذ المرام أيا عثمان منهمر

ومدحه أحد خلفائه بقصيدة، وهي هذه:

يا أميراً بغناء قد ظهر ... وجميلاً ببهاء قد بهر

وعلياً قد علا فوق العلا ... صار مرقى للكمالات اشتهر

وكريماً من أناس كرماً ... وظريفاً فاق كلاً قد قهر

ووليّاً للمقامات حوى ... وسماها بمقام فيه قَثْر

وصبيحاً وجهه الصبح الذي هو مرآة لذي كلّ نظر

أنت في الإتقان كنز جامع حكم القرآن في كلّ السور

أنت في أوج المعالي ظاهر كظهور الشمس تجلى للصور

أنت ذخر وملاذ للورى وغياث وعياذ من ضجر

كم كشفتم حزن من والاكم ورددتم كيد جبار غدر

كم بكم حاز المعالي ناقص فائق في الجهل والنقص مهر

كم بكم حلّ بقرب كامل حيث لم يدر وبالسرّ جهر

كيف لا والمصطفى أظهركم بالكرامات العديمات النظر

كيف لا والمنتقى يبدو لكم بخصوص كي ليقضى للوطر

كيف لا والمجتبى أنهلكم من بحار صافيات من كدر

فيه خذ بيدي يا سندي يا أمير الناس يا أهل النظر

وارفقن بي يا ختام الأوليا واجبر القلب إذا القلب انكسر

واقلبوا تربي تبراً خالصاً كي أوافيه وأعطيه البشر

ومن كلام سيدي الأستاذ رضي اللّه عنه حين سأله بعض مريديه: كيف نبقى بعدك في الدنيا يا سيدي ؟ فقال: ليس العارف من حجبه ذراع من تراب ۞ وأشار أن عند ضريحه تقضى الحوائج والدعاء يستجاب ۞

ولما كمل له من العمر ستون من الأعوام ۞ اختاره المولى ليمتعه بشهوده في دار السلام ۞ فقبض روحه الكريمة يوم الأحد بعد الزوال ۞ لاثنين وعشرين خلت من شهر شوّال ۞ عام ثمانيـة وسـتين بعـد المائتين والألف ۞ من هجرة المنعوت بأكمل وصف ۞

وحين خروج روحه الكريمة سطع نور من عند رأسه خرق السقف صاعداً ۞ رآه من كان عند احتضاره لأحواله مشاهداً ۞ وكانت الوفاة بالطائف المحبوب ۞ وغسل وكفن وصلّى عليه في مسـجده سـيدنا عبد اللّه المحجوب ۞ أخوه العالم العلامة و البحر الجهبذي الفهامـة ۞ المشهود له بالورع وكمال الاسـتقامة ۞ الموصـوف مـن التقـوى بأرفع وصف وأعلى علامة ۞ مولانا مفتي الإسلام، يومئـذ ببلـد اللّه الحرام ۞ السيد عبد اللّه ميرغني ۞ لا زال ملحوظاً بعين عناية مولاه الغني ۞ ثم نقل إلى مكة وصلّى عليه أيضاً تحت باب الكعبة خلق لا يحصرهم إلا اللّه ۞ وكان يوماً مشهوداً قلّ ما سـمع بـه أحـد وراه ۞ ودفن بعد عصر يوم الإثنين بالمعلا في شعبة النور ۞ وقبره بها ظاهر يزار وبالفيوضات معمور ۞ فاقصده إن رمت نيل مرادك ۞ وتوسل به إلى اللّه تعالى في حسن ختامك ۞

وروى له بعد وفاته مراءٍ كثيرة صالحة ۞ دالة على علوّ شأنه عند اللّه ونيله الأسرار الرابحة ۞

فرآه بعض الإخوان الصالحين ليلة دفنه في قبـره مسـتقبل القبلـة الشريفة، قاعداً في فرش مرفوعة ۞ وروائح نفيسة تجاهه موضوعة ۞ بحذاء النبيّ عليه الصلاة والسلام ۞ فقال له: يا سـيدي مـا فعـل اللَّه بك؟، فقال: غفر لي وأكرمني غاية الإكرام ۞ وغفر لمن شهد جنازتي ودفني ومشى معها ۞ ولكافة أهل طريقتي ومحبّتـي شـرقاً وغربـاً ۞ فالحمد للَّه على ذلك والشكر له جلَّ من مولى كريم ۞ {ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيم ۞ }.

ورآه بعضهم ليلة وفاته بالمدينة ۞ والنبي صَلَّى اللَّه عَلَيْـهِ وَسَـلَّمْ وصاحباه خارجون من المدينة ۞ فسلم علـى النبـيّ صَـلَّى اللَّه عَلَيْـهِ وَسَلَّمْ، وقال له: إلي أين تذهب يا سيدي يا رسول اللَّه؟، فقال: لملاقـاة السيد محمد عثمان ۞

ورأى بعض السادات القاطنين بالمدينة ۞ ذات ليلة مـن الليـالي الحجرة الشريفة مفتوحة وصاحبها عليه أفضل الصلاة والسلام ومعـه جمع من الآل والصحب الكرام ۞ ومعهم سيدنا الأستاذ المذكور وهم في غاية من الفرح والسرور ۞ فأرخه فكان ليلة وفاته ۞

ورآه بعض مريديه الصالحين، وهو من كمل أهل اللَّه العارفين، ذات ليلة من الليالي في سرور ونعيم، وشهود عظيم، ينشد قصـيدة طويلـة فخيمة جليلة، فهم منها هذين البيتين:

قد هدانا وهداكم لطريق مستقيم
وحبانا وحباكم لشهود من كريم

ورثاه نجله العالم العلامة الفاضل البحر الفهامة، سيدي السيد محمد الميرغني، الملقب من والده بسرّ الختم السني، فقال:

رزء يفتت شامخ الأطواد ويورث الأحزان في الأكباد
ومصيبة لو أنها صبت على ضوء النهار لعاد لون سواد
خطب بكت منه السماوات العلا والأرض حتى آذنت بنفاد
وبلية عظمت على كلّ الورى وأشدّها كانت على الأولاد
من قيل مات الختم قطب زمانه غوث العباد وغيث كل بلاد
من كان قوّام الليالي وهاجراً في طاعة الرحمن طيب رقاد
من كان صوّاماً عن الفحشا وعن قول الخنا في حاضر أو باد
من كان يتلو الذكر في أحواله مستغرق الأوقات بالأوراد
من كان يهدي السالكين لربهم ويدلهم بالرفق في الإرشاد
يدعو إلى سبل السلام وكل ما فيه رضا الباري وكلّ سداد
متسربلاً بلباس تقوى يقتفي في هديه آثار أكرم هاد
أحيا طريق القوم بعد دروسه وأبان طرق السادة الزّهاد
ما زال في نص الكتاب وسنة الـ مختار في الإصدار والإيراد

حتـــى أتـــاه مـــن الإلـــه يقينـــه ... ودعـــاه مـــولاه لخيـــر مـــراد

فأجـاب دعوتـه ولبـى مسـرعاً ... للقـــا كـــريم مكـــرم الوفـــاد

فـــاللّه يخلفـــه علـــى أولاده ... وعلـــى محبيـــه مـــدى الآبـــاد

و اللّه يعطيـــه منـــاه وقصـــده ... مـــع ســـيد الســـادات والعبـــاد

يعطيه فـي الفـردوس أعـلا رتبـة ... لـــم يؤتهـــا إلا النبـــي الهـــادي

صـلّى عليـه مسـلماً رب العـلا ... والآل والأصـــــحاب والأولاد

وينيل نسل الختم حسـن خلافـة ... متواليـــاً لهـــم بحســـن وداد

فهو الكريم وليس يحصـر فضـله ... فأحسن ختـام الكـلّ خيـر جـواد

وحيث فطم لسان البراعة، من امتصاص ألبان الثنا ۞ وأزدهرت في فلك الطـروس كواعـب كمـال المنـى ۞ فلنبسـط أكـفّ الأيـادي بالابتهال والخضوع ۞ ونطلق ألسنة التذلل والخشوع ۞ فنقول: اللَّهم إنا نسألك من خير ما سألك منه سيدنا محمد نبيك ورسولك صَلَّى اللَّهَ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ، ونعوذ بك من شرّ مـا اسـتعاذ منـه سـيدنا محمـد نبيـك ورسولك صَلَّى اللَّهَ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ ۞ وأنت المستعان، وعليك التكلان ۞ ونطلب منك بحبيبك المصطفى ۞ محل جودك وحنانك والوفا ۞ أن تجعلنا مقابلين بالعفو فضلاً وتلطفا ۞ وأن تكون لقضاء حاجتنا منجزاً ومسعفا ۞ ومتضرّعين إليك بمن ألفت في جنابه هذه المناقب ۞ أن

ترسل علينا من بحور الرحمة جداول المنى والمطالب ۞ وتفيض علينا من فيض مدد الختام المنير ۞ ما يروي هذا الجمع من صغير وكبير ۞ وأن تكتب لنا سعادة أبدية جامعة لأنواع الأمان ۞ بحرمة واسطتنا إليك ووليك وابن أوليائك مولانا السيد محمد عثمان ۞ وأن تجعلنا ممن تجر وربح أعظم مربح ۞ وشرب من مشربهم فغاب وشطح ۞ وأن تمتعنا بحماية الورع من كل محذور ۞ وأن تبلغنا بمطالب التقى كامل رضاك يا شكور ۞ وأن تختم لنا بخاتمة الخير و الإحسان ۞ وأن تخص ناسج هذه المناقب المحبرة الحسان ۞ بخالص عفو منك يا جوّاد يا منّان ۞ وكاتبها وقارئها وسامعها والحاضرين وسائر المسلمين بفضل سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُون وَسَلاَمٌ عَلَى الْمُرْسَلِين وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِين. الفاتحة إلى روح النبي صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمْ.

سوّده الفقير جعفر ابن السيد محمد عثمان الميرغني نفعنا اللَّه به وبوالده آمين.

وكان الفراغ من نقل هذه المناقب يوم السبت الموافق ٧ صفر سنة ١٣٢٧ هجرية، على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية.

تمت وبخير ختمت.

ولسيدي محيي الدين بن العربي رضي اللّه عنه في مدح سيدي الختم: ووصفه عن عين الكشف والشهود في كتابه [عنقاء مغرب]، وديوانه أيضاً قصيدة عصماء ويتيمة غرّاء، حيث قال:

رضاء اللّه على شمس الوجود ختام الأولياء من العقود
عليه من المهيمن كلّ وقت جلال رضاه من كرم وجود
فمن شرف النبيّ على الوجود ختام الأولياء من العقود
من البيت الرفيع وساكنيه من الحسب المنظم في الوجود
وبين للحقائق في ذراها وفضل اللّه فيه من الشهود
لو أن البيت يبقى دون ختم لجاء اللّص يفتك بالوليد
فحقق يافت نظراً إلى من حمى بيت الولاية من بعيد
فلولا ما تكوّن في أبينا لما أمرت ملائكة بالسجود
فذاك الأقدسي إمام نفسي يسمى وهو حيّ بالشهيد
وحيد الوقت ليس له نظير فريد الذات من بيتٍ فريد
لقد أبصرته ختماً كريماً بتكملة على رغم الحسود
كما أبصرت شمس البيت منه مكان الحلق من حبل الوريد
لو أن النور يشرق من سناه على الجسم المغيب في اللحود
لأصبح عالماً حياً كريماً طليق الوجه يرفل في البرود
فمن فهم الإشارة فليصنها وإلا سوف يلحق بالصعود

فنور الحقّ ليس له خفاء — على الأفلاك من سعد السعود

رأيت الأمر ليس له توان — سواء في هبوط أو صعود

نطقت به وعنه وليس إلا — وإن الأمر فيه على المزيد

تجلى في الوجود بلا مكان — دليل أنني ثوب الشهيد

فما وسع السماء جلال ربي — ولكن جلَّ في قلب العبيد

أردت تكتماً لما تجاري — إليه النكر من بيض وسود

وخاطبت النفيسة من وجودي — على الكشف المحقق والشهود

فبعد الكشف عنه لكلّ عين — جحدت وكيف ينفعني جحودي

وهل يخشى الذئاب عليه من قد — مشى في القفر في غفر الأسود

فردّت في الجواب عليّ صدقاً — تضرّع للمهيمن والشهيد

وسله الحفظ ما دام التلقي — وسله العيش للزمن السعيد

سألتك ياعليم السرّ مني — عصاماً بالمودة في الوجود

وأن تبقي عليّ رداء جسمي — للقيتكم إلى يوم السعود

وأن تخفي مكاني في مكاني — كما أخفيت بأسك في الحديد

وتستر ما بدا مني اضطراراً — كسترك نور ذاتك في العبيد

وإن تبدي عليّ شهود عجزي — بتوفيتي مواثيق العهود

تمت لؤلؤة الحسن الساطعة في بعض مناقب ذي الأسرار اللامعة .

قصيدة للسيد محمد سر الختم الميرغني:

يمدح بها والده، الأستاذ السيد محمد عثمان الميرغني الختم:

عَيْنَ العِنَايَـةِ نَـالَ السَّـعْدُ مَـنْ نَظَـرَهْ وَعَـيْنُ إِمْـدَادِهِ فِـي الكَـوْنِ مُنْفَجِـرَهْ

وَفِـي مَكَـارِمِ أخْـلَاقٍ بِـهِ جُمِعَـتْ تَـرَى المَكَـارِمَ طُـرًّا فِيـهِ مُنْحَصِـرَهْ

خِتَـام فَاتِحَـةِ العِرْفَـانِ مَـنْ سَـبَقَتْ لَـهُ العِنَايَـةُ مِـنْ مَـوْلَاهُ فَـافْتَخَرَهْ

مَنْ كَـانَ يَكْرَهُـهُ فَاضْـرِبْ لَـهُ مَثَلاً تَـاللَّه أَحْسَـنُ مِنْـهُ الحُمْـرُ وَالبَقَـرَهْ

وَمَـنْ أَنَـاخَ بِبَـابٍ حَـوْلَ حَضْـرَتِهِ رِكَـابَ آمَالِـهِ فَلْـيَقْضِ مَـا أَمَـرَهْ

وَلْيَبْلُـغِ المَجْـدَ مَهْمَـا عَـاشَ مُرْتَقِيَـاً وَأَنَّ ذِمَّتَـــهُ لَيْسَـــتْ بِمُنْخَفِـــرَهْ

وَآلُ عِمْـــرَانَ إِنْ سَـــادُوا بِمَـــرْيَمِهِمْ فَخْـرًا فَمِنْـكَ خِتَـامُ القَـوْمِ مُفْتَخِـرَهْ

مَـا لِلنِّسَـا وَلَـدٌ كَـالخَتْمِ نِعْـمَ فَتًـى مَـنْ مِنْـهُ مَائِـدَةُ الإِمْـدَادِ مُـدَّخَرَهْ

مَـا قَارَبَـتْ تُنْكِـرُ الأَنْعَـامُ شُـهْرَتَهُ أَعْرَافُهُ المِسْـكُ بَـلْ فَاقَـتْ لَـهُ ذُفَـرَهْ

وَكَـمْ حَبَـاهُ بِأَنْفَـالٍ إِلَهِـي مِـنْ جَزِيـلِ إِنْعَامِـهِ لَيْسَـتْ بِمُنْحَصِـرَهْ

مِـنْ ذَاكَ تَوْبَـةُ مَـنْ وَافَـاهُ يَقْبَلُهَـا رَبِّـي كَيُـونُس تَابَـتْ قَوْمُـهُ الكَفَـرَهْ

فَتَـابَ رَبِّـي عَلَـيْهِمْ وَاسْـتَجَابَ لَهُـمْ وَقَـوْمُ هُـودٍ هُـمْ أَعْـدَاؤُهُ الأَشِـرَهْ

قَدْ حَازَ يُوسُفُ شَطْرَ الحُسْنِ حِينَ بَدَا وَسَائِرُ الحُسْـنِ فِيـكَ اللهُ قَـدْ سَـطَرَهْ

بَلْ أَنْتَ يَا خَتْمَ كُلِّ العَـارِفِينَ غَـدَا تَسْبِيحُكَ الرَّعْـدُ نَرْجُـو بَعْـدَهُ مَطَـرَهْ

وَرِثْـتَ خُلَّـةَ إِبْـرَاهِيمَ مَـنْ جُعِلَـتْ بَرْدًا لَهُ النَّـارُ فِيهَـا الـنَّجْمَ وَالشَّـجَرَهْ

وَجَاءَ جِدَّكَ فِي الحِجْرِ الأَمِينُ لِكَـيْ يَسْـرِي بِهِ لِيَـرَى لِلحَضْـرَةِ النَّضِـرَهْ

وَالشَّـهْدُ وَالخَمْـرُ كُـلٌّ مِنهُمَـا بِإِنَّـا وَالـدُّرُّ فِـي قَـدَحٍ وَالكُـلُّ قَـدْ نَظَـرَهْ

خَيْـرُ البَرِيَّـةِ وَالتَّخْيِيـرُ جَـاءَ لَـهُ مِنْ شَرْبَةِ المَاءِ أَوْ مَا النَّحْـلُ مُبْتَـدِرَهْ

فَكَـانَ أَرْحَـمَ كُـلّ العَـالَمِينَ بِنَـا وَاخْتَـارَ فِطْـرَةَ مَـوْلَاهُ الَّـذِي فَطَـرَهْ

سُـبْحَانَ كهْـفِ الـوَرَى مَـنْ خَـصَّ مَرْيَمَنَا زَوْجًا لِطَه إِذَا مَا الخَلْقُ مُنْتَشِـرَهْ

وَالأَنْبِيَـاء كُـلُّ فَـرْدٍ حَـجَّ أُمَّتَـهُ وَالمُؤْمِنُـونَ بِنُـورِ اللَّه مُنْتَظِـرَهْ

رَجَاء الشَّفَاعَةِ فِي يَوْمِ الحِسَاب بِمَنْ عَلَيْـهِ قَـدْ أُنْـزِلَ القُـرْآنُ وَاعْتَبَـرَهْ

واللَّه لَـوْ شُـعَرَاءُ الكَـوْنِ قَاطِبَـةً مِنْ كُلِّ مَـاضٍ وَآتٍ وَالَّـذِي حَضَـرَهْ

أَفْنَوْا جَمِيعُهُمُـو الأَوْقَـاتَ يَمْتَـدِحُوا لِلخَتْمِ لَمْ يَبْلُغُـوا مِـنْ وَصْفِهِ عُشُـرَهْ

حَتَّى وَلَـوْ كَـانَ عَـدَّ النَّمْـلِ كَثْـرَتُهُمْ وَضِعْفُ مَا حَوَتِ الأَكْوَانُ من مَـدَرَهْ

فَفِيـهِ أَوْدَعَ رَبِّـي كُـلَّ مَكْرُمَـةٍ قَدْ أَعْجَزَ الرَّبُّ عَـنْ إِدْرَاكِهَـا بَشَـرَهْ

يَكْفِيهِ مَا قَصَّهُ المُخْتَـارُ مِـنْ قَصَصٍ يَقُـولُ بِـاللَّه أَقْسَـامًا غَـدَتْ بَـرَرَهْ

واللَّه واللَّه يَـا عُثْمَـانُ إِنَّـكَ مِـنْ بَعْـدِي لَأَفْضَـلُ كُـلّ الأَوْلِيَـا البَـرَرَهْ

فَكُـلُّ حُجَّـة مَـنْ عَـادَاهُ وَاهِيَـةٌ كالعَنْكَبُوتِ وَهَنَـتْ أَبْيَاتُهَـا القَـذِرَهْ

تاللَّه مَا هُمْ سِوَى الرُّوم الَّذِينَ كفَـرُوا يَـوْم القِيَامَـة تَعْلُـو وُجُـوهَهُمْ قَتَـرَهْ

عِنَايَـةُ اللَّه حَفَّتْـهُ وَحِكْمَتُـهُ مَا حَازَ لُقْمَانُ مِنْهَا عُشْـرَ مَـا حَـذَرَهْ

وَلَـوْ تُقَـاسُ بِفِعْـلِ الخَلْـقِ سَـجْدَتُهُ لَسَجْدَةٌ مِنْـهُ تَسْـمُو غَيْـرَ مُنْحَصِـرَهْ

وَكُـلُّ مَـنْ كَـانَ مِـنْ أَحْزَابِـهِ فَلَـهُ كَـأَجْرِ سَـبْعِينَ مِمَّـنْ لِلنَّبِيّ حَضَـرَهْ

وَكُـلُّ مَـنْ كَـانَ مِـنْ أَعْدَائِـهِ فَلَـهُ خزيٌ كمِثْل سَبَا إِذَا أَصْبَحَتْ خَسِـرَهْ

يَـا فَـاطِرَ الخَلْـقِ نِـلْ عُثْمَـانَ مَطْلَبَـهُ بِجَـاهِ يـس بَلِّـغْ خَتْمَنَـا وَطَـرَهْ

وَبِالمَلَائِكَـةِ الصَّـافَّاتِ يَـا سَـنَدِي وَالخَتْمِ تَجْعَـلْ خَطَايَـا الكُـلِّ مُغْتَفَـرَهْ

قَدْ صَادَ عَسْكَرُ ذَنْبِي مُهْجَتِي فَغَدَتْ فِي قَرْيَةِ القَلْبِ حَتَّى فَرَّقَتْ زُمُرَهْ

يَا غَافِرَ الذَّنْبِ غُفْرَانًا بِجَاهِ نَبِيّ فُصِّلَتْ مِنْهُ آيَاتُ الهُدَى نَيرَهْ

بِجَاهِ قَوْمٍ غَدَا فِي الكَوْنِ أَمْرُهُمُ شُورَى وَأَنْفُسُهُمْ بِالحَقِّ مُؤْتَمِرَهْ

تُطَهِّرُ القَلْبَ مِنْ أَدْرَانِهِ أَبَدًا بِنَزْعِ زُخْرُفِ دُنْيَا حُبُّهَا غَمَرَهْ

يَوْم الدُّخَان وَيَوْم الخَلْقِ جَاثِيَة يَوْم تَرَى أُمَّة الأَحْقَاف مُنْدَحِرَهْ

وَنَحْنُ لَا عَمَلٌ يُرْضِي الإِلَهَ لَنَا إِلَّا مَحَبَّةُ خَتْم الأَوْلِيَا الفَخَرَهْ

مَنْ قَدْ أَتَى بِقِتَالِ النَّفْسِ مُجْتَهِدًا حَتَّى حَوَى الفَتْحُ مِنْ مَوْلَاهُ وَابْتَدَرَ

وَنَالَ مِنْ حُجُرَاتِ النَّفْسِ فَكَّ عُرًى قَدْ أَوْثِقَتْ حَلُّهَا مِنْ دُونِهِ عَسِرَهْ

يَا سَيِّدًا لَمْ يَزَلْ قَافًا لِأَحْمَدِنَا وَالذَّارِيَاتُ عَلَى الأَعْدَاءِ مُنْتَصِرَهْ

وَالطُّورُ وَالنَّجْمُ فِي عَلْيَاءِهِ وَاقْتَرَبَتْ وَالعَرْشُ وَالكُرْسِيُّ كُلُّ الكَوْنِ مَا قَدَرَهْ

ذَا سَيِّدٌ خَصَّهُ الرَّحْمَنُ مِنْهُ بِمَا لَوْ رَامَ مَنْ رَام إِحْصَاهُ لَمَا حَصَرَهْ

مَنْ لَاذَ بِالخَتْمِ إِذْ نَابَتْهُ وَاقِعَةٌ مِثْلُ الحَدِيدِ وَرَتْ نَارَ الوَرَى شَرَرَهْ

يَكْفِيهِ ذَاكَ وَفِي العُقْبَى مُجَادَلَةُ فِي الحَشْرِ يَوْمَ إِمْتِحَانِ اللَّه مَنْ وَزَرَه

وَصُفَّ صَفٌّ كَصَفِّ الخَلْقِ فِي جَمْعٍ مَا جَمْعُهُ مِثْلُ جَمْعٍ صَفْوُهُ كَدَرَهْ

وَتَنْظُرُ المُنْكِرِينَ الخَتْمَ مَنْ سُمُّوا المُنَافِقِينَ لَهُمْ كُلُّ الوَرَى حَقَرَهْ

يَوْمُ التَّغَابُنَ مَغْبُونِينَ لَيْسَ لَهُمْ جَاهٌ أَعَدَّ لَهُمْ مَوْلَى الوَرَى سَقَرَهْ

واللَّه لَوْ رَامَ أَعْدَاه مَضَرَّتَهُ تاللَّه لَنْ يَبْلُغُوا طُولَ المَدَى ضَرَرَهْ

طَلَاقُكَ المَرَّةَ الدُّنْيَا لَهَا حَقَرَاً لِأَنَّهَا عِنْدَ مَوْلَى الخَلْقِ مُحْتَقَرَهْ

قَدْ نَالَهَا مِنْكَ تَحْرِيمٌ وَرَبِّي قَدْ آتَاكَ مُلْكًا لَهُ الأَكْوَانُ مُنْتَظَرَهْ

مِنْ نُورِ جَدِّكَ خَلْقُ النُّونِ كَانَ فَكُنْ فِي يَوْمِ حَاقَةِ لِي وَالكُلُّ فِي حَيْرَهْ

يَـوْمَ المَعَـارِجِ فَاسْـتَغْفِرْ لِمُـذْنِبِنَا وَلَا تَقُـلْ مِثْـلَ نُـوحٍ رَبِّ لَا تَـذَرَهْ

يَا مُرْشِدَ الجِنِّ مِثْلَ الإِنْسِ مُقْتَفِيَاً لِخُلْـقِ مُزَّمِّـلٍ مُـدَّثِّرٍ أَثَـرَهْ

يَـوْمِ القِيَامَـةِ لَا نَرْجُـو سِـوَاكَ فَهَـلْ أَتَـى لَنَـا مَـنْ لَـهُ الأَكْـوَانُ مُفْتَقِـرَهْ

سِوَاكَ مَنْ مُرْسَلَاتُ الفَيْضِ مِنْهُ سَقَتْ أَرَاضِي القَلْـبِ حَتَّـى أَيْنَعَـتْ ثَمَـرَهْ

وَعَـمَّ لِلخَلْـقِ مِنْـهُ النَّفْـعُ فَانْتَفَعَـتْ كُـلُّ الأَنَـامِ بِمَـا مِـنْ رُوحِـهِ نَشَـرَهْ

لَا زَالَ مِـنْ نَازِعَـاتِ الـنَّفْسِ مُنْقِـذِنَا كَذَاكَ مِنْ عَبَسِ الوَسْوَاسِ وَالخَطَـرَهْ

إِذْ كُوِّرَتْ نَفْسُ مَنْ يَهْوَاهُ وَانْفَطَـرَتْ حَتَّى غَدَتْ مِنْ غَرَامِ الوَجْـدِ مُنْفَطِـرَهْ

وَلَمْ تَكُنْ طَفَّفَتْ فِي الحُبِّ أَوْ بَخَسَتْ خَوْفًا مِنَ الصَّـدِّ وَالهِجْـرَانِ مُحْتَـذِرَهْ

يَوْمَ إِنْشِقَاقِ السَّـمَا ذَاتِ البُـرُوجِ إِذَا نَادَى الوَرَى طَارِقٌ مَوْلَى الوَرَى أَمَـرَهْ

وَجَاءَنَـا المَلِـكُ الأَعْلَـى يُحَاسِـبُنَا فِي يَـوْمِ غَاشِـيَةٍ وَالشَّـمْسُ مُنْحَـدِرَهْ

وَالْفَجْـرُ مُنْعَـدِمٌ وَالخَلْـقُ فِـي بَلَـدٍ غَيْـرِ الـبِلَادِ وَأَهْـوَالٍ بَـدَتْ عَسِـرَهْ

فَلَيْسَ إِلَّاكَ يَـا شَـمْسٌ جَلَـتْ كَرَبَـاً كَاللَّيْلِ بَلْ هِـيَ أَدْهَـى مِنْـهُ مُعْتَكِـرَه

فَأَنْتَ بَـدْرُ الهُـدَى مَـنْ جَاءَ مُتَّبِعًـا لِسَيِّدِ الشَّـرْعِ حَتَّـى كَالضُّحَى شَـهَرَهْ

عَسَى بِفَضْلِكَ شَـرْحُ الصَّـدْرِ يَشْـمَلُنَا فِي دَارِ دُنْيَا وَمَنْ فِيهَـا الـوَرَى غَـرَرَهْ

وَخَـالِقِ التِّـينِ وَالإِنْسَـانِ مِـنْ عَلَـقٍ لَأَنْتَ كَالقَدْرِ فِي الإِنْسَـانِ مُشْـتَهِرَهْ

وَلَـمْ يَكُـنْ لِمُحِـبٍّ يَـوْمَ زَلْزَلَـةٍ غَـوْثٌ سِـوَاكَ بِـهِ يَنْجُـو مِـنَ العَثَـرَهْ

وَمَـرَّ كَالعَادِيَـاتِ المُخْلِصُـونَ عَلَـى مَتْنِ الصِّـرَاطِ وَذُو الأَسْـوَاءِ مُنْـذِعِرَهْ

فِـي يَـوْمِ قَارِعَـةٍ مَالْهَـا كُمُوا أَبَـدًا عَـنِ المُحِبِّـينَ شَـيْءٌ وَهْـيَ مُنْتَظِـرَهْ

وَالعَصْرُ عَصْرِكَ يَا ذُخْرِي وَمُعْتَمَدِي وَيْلٌ لِمَنْ كَانَ مِنْ أَعْدَائِكَ الفَجَرَهْ

جَزَاهُمُوا مِثْلَ أَهْلِ الفِيلِ تَرْجُمُهُمْ طَيْرٌ بِنَارٍ مِنَ الجَبَّارِ مُسْتَعِرَهِ

إِذَا أَنْكَرُوا مِنْ قُرَيْشٍ أَصْل نِسْبَتِهِ مِنْ سَادَةٍ رَبُّنَا تَطْهِيرُهُمْ ذَكَرَهْ

يَا سَيِّدِي أَنْتَ مَاعُونُ الوِلَايَةِ قَدْ شَرِبْتَ كَوْثَرَهَا الصَّافِي فَلَا عَكَرَهْ

أَلَا عَلَى الكَافِرِينَ البَاغِضِينَ لَكُمْ عَلَيْهِمُ النَّسْرُ تُمْسِي وَهْيَ مُقْتَدِرَهْ

تَبَّتْ يَدَاهُمْ لَهُمْ خِزْيٌ وَمَطْرَدَةٌ وَمَنْ أَتَاكَ بِإِخْلَاصٍ حَوَى وَطَرَهْ

أَتَى لَهُ الخَيْرُ وَالإِمْدَادُ مُنْسَحِبًا كَمَا أَتَى فَلَقُ الإِصْبَاحِ مُنْسَفِرَهْ

فَلَوْ وَافَاكَ جَمِيعُ النَّاسِ يَا سَنَدِي لَعَمَّهُمْ فَيْضُ إِمْدَادَاتِكَ العَطِرَهْ

يَا غَايَةَ القَصْدِ وَافَتْكُمْ مُخَدَّرَةٌ بِنْتٌ مِنَ الفِكْرِ حَلَّتْ مِنْهُ مُبْتَكِرَهْ

عَسَى القَبُولُ يُوَافِيهَا وَقَائِلَهَا وَكُلَّ مَنْ سَمِعَ الإِنْشَادَ أَوْ حَضَرَهْ

وَبَعْدُ صَلَّى إِلَهُ العَرْشِ مَا طَلَعَتْ شَمْسُ النَّهَارِ عَلَى المُخْتَارِ مِنْ خَيرَهْ

وَآلِهِ الغُرِّ وَالصَّحْبِ الكِرَام مَدَى مَا أَطْلَعَ اللَّهُ فِي أُفُقِ الهُدَى قَمَرَهْ

وَغَرَّدَتْ فَوْقَ غُصْنِ الأَيْكِ مُطْرِبَةٌ تُذَكِّرُ العَاشِق الوَلْهَانَ مَنْ هَجَرَهْ

وَأَنْشَدَ الصَّبُّ مُشْتَاقًا وَقَالَ فَتَى عَيْنُ العِنَايَةِ نَالَ السَّعْدُ مَنْ نَظَرَهْ

قصيدة للسيد محمد سر الختم الميرغني :

يمدح بها والده، الأستاذ السيد محمد عثمان الميرغني الختم :

رَفِيعَ القَـدْرِ يَـا عَلَـمَ المَعَـالِي وَقُدْوَةَ كُلِّ مَنْ طَلَـبَ الوِصَـالِ

إِمَـامَ الكَائِنَـاتِ فَرِيـدَ عَصْـرٍ رَجَـاءَ الكَـوْنِ مُعْتَمَـدَ الرِّجَـالِ

جَمِيـلَ الـذَّاتِ وَالأَفْعَـالِ طُـرًّا وَمَـنْ حَـازَ الجَلَالَـةَ وَالجَمَـالِ

وَمَنْ أَهْدَى لِطُرْقِ الحَقِّ خَلْقًـا لَقَدْ رِكِبُوا عَلَى نُجُـبِ الضَّلَالِ

وَكَمْ أَغْوَوْا وَضَلُّوا النَّاسَ حَتَّـى هَوَى بِهُـمِ الهَـوَى بِحْـرَ الوَبَـالِ

تَنَاوَلْ مِنْ بِحَـارِ الفَـيْضِ كَأْسًـا فَأَرْوَى الجَمْعَ مِنْ غَيْرِ انْفِصَـالِ

فَأَرْشَـدَهُمْ إِلَـى الإِسْـلَام دِينًـا وَهَــذَّبَهُمْ بِــأَخْلَاقِ الكَمَــالِ

وَمِنْ مِنْهُ العُلُومَ بَـدَتْ جَمِيعًـا وَحَازَ مِنَ المَرَاتِـبِ كُـلَّ عَـالِي

وَكَـمْ لَـكَ سَـيِّدِى عِـزٌّ وَجَـاهٌ وَمَنْقَبَـةٌ مِـنَ المَلِـكِ الجَـلَالِ

سَأَلْتُكَ بِـالنَّبِيِّ المُصْـطَفَى مَـنْ بِهِ خَـصَّ الإِلَـهُ أُولِـي الكَمَـالِ

وَبِابْنِ إِدْرِيسَ أَحْمَدَ أَنْ تُجِبْنِي لِمَـا أَرْجُـوهُ لَا تَـرْدُدْ سُـؤَالِي

وَتَمْنَحُنِـي بِفَضْـلٍ مِنْـكَ قَـوْلًا لَقَدْ نِلْتَ الرِّضَـى أَمَـدَ اللَّيَـالِي

وَعَوَّدْنَـاكَ مِـنَ الْهَجْـرِ دَوْمًـا وَسَـامَحْنَاكَ مِـنْ سُـوءِ الفِعَـالِ

فَلَا تَخْشَى جَمِيعَ الدَّهْرِ ضَـيْمًا وَأَنْتَ بِسَـوْحِنَا فِـي كُـلِّ حَـالِ

أَلَا يَـا سَـيِّدِي لاَ زِلْـتُ بَحْـرًا لِمَـنْ وَافَـاكَ مُلْـتَمِسَ النَّـوَالِ

وَحَبْـرًا لِلَّـذِي يَرْجُـوكَ عِلْمًـا وَسَـيْفًا للعِـدَا أَهْـلِ الضَّـلَالِ

فَلَنْ يَسْعَدْ عَـدُوُّكَ طُولَ دَهْـرٍ وَلَكِنْ فِي الوَبَـالِ وَفِـي النَّكَـالِ

يَعِـيشُ مُـذَلَّلاً بَـيْنَ البَرَايَـا وَلَـنْ يُلْقِـي لَـهُ الجَبَّـارُ بَـالِ

وَلَنْ يَشْقَى مُحِبُّـكَ بَـلْ عَزِيـزٌ وَجِيـهُ الجَـاهِ مَقْبُـولُ الفِعَـالِ

يَعِـيشُ مُنَعَّمًـا أبَـدَاً دَوَامًـا هَنِيَّ العَيْشِ مَحْمُـودَ الخِصَـالِ

عَلَيْكَ مَـنِ الإِلَـهِ رِضـاً دَوَامًـا وَرَحْمَـاتٌ وَأَسْـرَارٌ غَـوَالِ

وَإِنْعَامَـاً وَإِكْرَامَـاً وَبِـرَّاً وَتَسْلِيمًا يَـدُومُ عَلَـى التَّـوَالِ

يَعُمُّكَ سَيِّدِي فِـي كُـلِّ حِيـنٍ وَمَـنْ تَرْعُـوهُ مِـنْ صَحْـبٍ وَآلِ

عَلَـيْهِمْ أَكْمَـلُ التَّسْـلِيمِ يَتْلُـو سَـلَامَكُمُ الَّـذِي فَـاقَ اللَّآلِـي

وَيَتْبَعُـهُ سَـلَامٌ لَـيْسَ يَفْنَـى عَلَى خَيْرِ الوَرَى بَاهِي الجَمَـالِ

وَصَـلَّى رَبُّنَـا مَـا حَـنَّ صَـبٌّ إِلَى الأَحْبَـابِ يَرْجُـو لِلوِصَـالِ

وَءَالٍ وَالصِّـحَابِ وَتَـابِعِيهِمْ وَتَـابِعِهِمِ إِلَـى يَـوْمِ المَـآلِ

قصيدة للسيد جعفر الميرغني:

يمدح بها والده، الأستاذ السيد محمد عثمان الميرغني الختم:

يَـا رَبِّ عَـلِّ مَقَـامِ الخَـتْمِ سَـيِّدِنَا ... وَحُفَّـهُ بِالرِّضَـا يَـا وَاسِـعَ الكَـرَمِ

بَـادِرْ بِصِـدْقٍ وَوُدٍّ عَـالِيَ الهِمَـمِ ... وَانْزِلْ بِسَاحَةِ خَتْمِ القَوْمِ مِنْ حَرَمِ

وَحُـطَّ رَحْلَـكَ فِـي أَبْوَابِـهِ فَـعَسَى ... بِجَاهِـهِ يُنْجِكَ المَوْلَى مِـنَ العَـدَمِ

وَسَلْ بِـهِ كُـلَّ مَـا تَرْجُـوهُ مِـنْ أَمَـلٍ ... فَهُوَ الَّـذِي جُـودُهُ كَالغَيْـثِ وَالـدِّيَمِ

مَـنْ حَـامَ حَوْمَتَـهُ أَوْ حَـلَّ سَـاحَتَهُ ... يَلْقَـى كَرَامَتَـهُ مِـنْ وَاهِـبِ الكَـرَمِ

أَوْ جَـاءَ سَـائِلَهُ يَرْجُـو فَضَـائِلَهُ ... يُعْطَـى وَسَـائِلَهُ يَمْتَـازُ بِـالنِّعَمِ

كَـمْ أَمَّ ذُو تَـرَحٍ فَعَـادَ ذَا فَـرَحٍ ... بُـرْءٌ لِـذِي قَـرْحٍ فِـي شِـدَّةِ السَّـقَمِ

غِيَاثُ ذِي كُرَبٍ شِفَاءُ ذِي وَصَبٍ ... غَوْثٌ لِذِي نَصَبٍ فِي السَّهْلِ وَالأَكَمِ

أَوْلَاهُ مَـوْلَى العُلَـى قُرْبـاً وَمَنْزِلَـةً ... عَـلَا بِهَـا هَامَـةَ الجَـوْزَاءِ بِالقَـدَمِ

وَخَصَّـهُ جَـدُّهُ المُخْتَـارُ مِـنْ مَـدَدٍ ... كَالبَحْرِ فِي مَوْجِهِ بِـالفَيْضِ مُلْـتَطِمِ

يَرْوِي بِهِ كُـلَّ مَحْسُـوبٍ وَمُنْتَسِـبِ ... يَسْقِي بِـهِ زُمْـرَةَ الأَحْبَـابِ وَالخَـدَمِ

مُحَمَّـدٌ ذَاكَ عُثْمَـانُ الَّـذِي رُفِعَـتْ ... رَايَاتُ مَنْصَـبِهِ فِـي النَّـاسِ كَـالعَلَمِ

المِيرْغَنِي نَسْلُ خَيْرِ الخَلْقِ مِنْ مُضَـرٍ ... مَنْ حَازَ كُلَّ العُلَى مِنْ بَـارِئِ النَّسَـمِ

شَيْخُ الطَّرِيقَةِ غَـوْثُ السَّـالِكِينَ بِهَـا ... سِرُّ الحَقِيقَـةِ جَـالِي حُنْـدُسِ الظُّلَـمِ

قُطْبُ الدَّوَائِرِ نَامُوسُ الحَظَائِرِ يَعْسُوبُ ... العَشَـائِرِ أَهْـلِ العِلْـمِ وَالحِكَـمِ

لَـهُ البَشَـائِرِ فِـي سِرٍّ وَفِـي عَلَـنِ ... مِنْ جَدِّهِ خُـصَّ بِـالخَيْرَاتِ وَالعِظَـمِ

شَمْسَ المَعَارِفِ يَا بَدْرَ اللَّطَائِفِ يَـا ... مَوْلَى العَوَارِفِ مُنْجِي العَبْدِ مِنْ سَدَمِ

رَبَّ الكَمَالَاتِ يَنْبُوعَ الفُيُوضِ وَمَـنْ نَـادَاهُ فِـي كُرْبَـةٍ وَافَـاهُ بِـالكَرَمِ

مَنْ حَازَ مِنْ شَرَفٍ أَعْلَاهُ فِـي غُـرَفٍ وَفَـازَ مِـنْ تُحَـفِ الإِفْضَـالِ وَالـنِّعَمِ

أَنْتَ المُقَدَّمُ فِي الحَضْرَاتِ أَجْمَعِهَـا أَنْـتَ الخِتَـامُ لِأَهْـلِ اللهِ كُلِّهِـمِ

يَا هَيْكَـلَ النُّـورِ وَالأَسْـرَارِ مَعْـدِنَهَا عَيْنَ العِنَايَةِ كَـمْ أَهْـدَى مِـنَ الأُمَـمِ

لِلَحَـقِّ قَوْمـاً وَقَوْمـاً لِلطَّرِيـقِ فَمَـنْ وَافَى حِمَاهُ حُمِي يَا صَاحِ مِـنْ نَـدَمِ

فَقُمْ وَكُـنْ عَجِلاً مِـنْ أَهْلِ خِدْمَتِـهِ وَانْهَضْ لِحَضْـرَتِهِ بِالصِّـدْقِ وَالهِمَـمِ

تَكُـونُ تَحْـتَ لِـوَآءِ الخَـتْمِ عُمْـدَتِنَا مُحَمَّدِ المِيرْغَنِي عُثْمَـانَ ذِي الحُـرُمِ

يَكْفِيـهِ مِـنْ شَـرَفٍ يَعْلُـو بِـهِ أَبَـداً شُـهُودُ طَـهَ عَظِـيمِ الخَلْـقِ وَالقَسَـمِ

مُبَشِّـراً دَائِمـاً بِالبَسْـطِ يُكْرِمُـهُ بِالفَوْزِ وَالقُرْبِ وَالأَسْـرَارِ وَالحِكَـمِ

يَا خَتْمَ أَهْلِ العُلَى يَا خَيْـرَ ذَاكَ المَـلَا أُنْظُرْ لِنَجْلٍ عَـدِيمٍ صَـارَ فِـي سَـأَمِ

وَكُـنْ لَـهُ سَـنَداً فِـي كُـلِّ نَازِلَـةٍ وَكُلِّ شَـخْصٍ بِهَـذَا السِّـلْكِ مُنْتَظِمِ

وَخُصَّـنِي بِوِصَـالٍ مِنْـكَ يَـا أَمَلِـي وَاخْلَعْ عَلَـى ذَاتِـيَ الأَنْـوَارَ يَـا عَلَـمِ

وَقِـرَّ عَيْنِـي بِقُـرْبٍ أَنْـتَ تَعْلَمُـهُ لِكَـيْ أَكُـونَ بِـهِ مَـوْلَايَ ذَا قَـدَمِ

مِنْ جَعْفَرِ الفَيْضِ فَارْوِي كُلَّ مُنْتَسِبٍ وَسِـيَّمَا نَـاظِمُ الأَبْيَـاتِ ذُو العَـدَمِ

سَحَائِبُ النُّورِ وَالأَمْـدَادِ مِـنْ أَحَـدٍ تَغْشَاكَ يَا خَـتْمَ أَهْـلِ اللهِ ذِي الكَـرَمِ

وَبِالرِّضَـا حَفَّـكَ المَـوْلَى بِـهِ أَبَـداً بِجَاهِ أَوْفَـى الـوَرَى بِالعَهْـدِ وَالـذِّمَمِ

عَلَيْهِ صَلَّى إِلَـهُ الخَلْـقِ مَـا نُشِـدَتْ (بَـادِرْ بِصِـدْقٍ وَوُدٍّ عَـالِيَ الهِمَـمِ)

قصيدة للسيد محمد سر الختم الميرغني، يمدح بها جده الإمام الختم:

صَـلَاةُ رَبِّـي عَلَـى طَـهَ وَرِضْـوَانُ ... يَغْشَاكَ يَا مِيرْغَنِـي يَـا خَـتْمُ عُثْمَـانُ

بُشْـرَاكَ أَنَّ قِبَـابَ الحَـيِّ قَـدْ بَـانُوا ... وَشَرَّفُوا عَبْـدَهُمْ مِـنْ بَعْـدِ مَـا بَـانُوا

أَمَا تَـرَى النُّـورَ يَزْهُـو فِـي جَوَانِبِهَـا ... فِيهَا لِأَهْـلِ الهُـدَى بِـالحَقِّ سُـلْطَانُ

خَـتْمُ الوِلَايَـةِ وَالعِرْفَـانِ سَـيِّدُنَا ... السَّـيِّدُ السَّـنَدُ القُدْسِـيُّ عُثْمَـانُ

المِيرْغَنِـيُّ الَّـذِي مَـا زَالَ مُعْتَصِـمًا ... بِرَبِّـهِ وَلَـهُ مِـنْ شَـأْنِهِ شَـانُ

حَلَّاهُ بِالفَضْلِ وَالتَّقْوَى وَكُـلِّ هُـدًى ... وَسَـيْرُهُ سُـنَّةُ الهَـادِي وَقُـرْآنُ

إِنْ قُلْتَ غَوْثٌ فَمَا أَطْنَبْتَ فِـي نَبَـإٍ ... أَوْ قُلْتَ غَيْثٌ نَعَمْ يَحْكِيـهِ طُوفَـانُ

بَدْرٌ سَرَى فِي ضِيَاهُ مَنْ تَمَسَّـكَ فِـي ... طَرِيقِـهِ وَلَـهُ الـرَّحْمَنُ مِعْـوَانُ

أَصْحَابُهُ كَشُـمُوسٍ فِـي مَرَاكِزِهَـا ... لِنُورِهَا فِـي قُلُـوبِ الخَلْـقِ سَطَعَانُ

يَمِّمْ حِمَـاهُ تَجِـدْ مَـا أَنْـتَ طَالِبُـهُ ... يَنْصَاغُ بِالـذِّكْرِ مِـنْ جَدْوَاهُ إِنْسَـانُ

وَلُـذْ بِـهِ عِنْـدَمَا أَمَّلْـتَ نَيْـلَ مُنًـى ... وَحَقِّـقِ القَصْـدَ فِيـهِ فَهْـوَ مِحْسَـانُ

آثَـارُهُ فِـي المَعَـالِي غَيْـرُ خَافِيَـةٍ ... عَـادَتْ بِإِرْشَـادِهِ لِلشَّـرْعِ أَزْمَـانُ

أَجْـدَادُهُ كُـلَّ فَـرْدٍ فِـي الوُجُـودِ لَـهُ ... شَـأْنٌ كَبِيـرٌ لَـهُ سِـرٌّ وَبُرْهَـانُ

تَعْـدَادُهُمْ فِـي خِيَـارِ الخَلْـقِ قَاطِبَـةً ... لِنِسْـبَةٍ بِرَسُـولِ اللَّهِ تَـزْدَانُ

عِقْدٌ مِنَ النُّورِ قَدْ صِيغَتْ جَـوَاهِرُهُ ... فَلَـيْسَ مِـنْ نَوْعِهَـا دُرٌّ وَمَرْجَـانُ

مِثْـلُ الثَّوَابِـتِ أَوْلَادٌ لَـهُ ظَهَـرُوا ... وَنَسْـلُهُمْ مِثْـلُ أَقْمَـارٍ لَهُـمْ كَـانُوا

العَـالِمُ الحَبْـرُ سِـرُّ الخَـتْمِ أَكْبَـرُهُمْ ... وَغَـوْثُهُمْ حَسَـنٌ مَـنْ شَـأْنُهُ شَـانُ

وَجَعْفَرُ الصَّادِقُ الفَرْدُ الَّذِي شَـهِدَتْ ... بِفَضْلِهِ فِي المَعَالِي الإِنْـسُ وَالجَـانُ

وَالتَّاجُ وَالبَـابُ مَحْجُـوبٌ وَخَـالِصُ نُـورِ الخَـتْمِ الفَـرْدُ إِبْـرَاهِيمُ سُـلْطَانُ

وَالقُطْبُ هَاشِمُ خُصَّ الذِّكْرَ مَنْ قَطَنُوا بِـأُمِّ دُرْمَـانَ مَـنْ فِـي وَقْـتِهِمْ عَـانُوا

وَحَفَّهُـمْ لُطْـفُ رَبِّـي فِـي تَقَلُّـبِهِمْ وَصَانَهُمْ مِنْ شُـرُورِ الخَلْـقِ صَـوَّانُ

يَا صَاحِبَ الجَاهَ وَالفَضْلِ العَمِيمَ عَلَى الأَتْبَاعِ وَالنَّسْلِ مَنْ عَزُّوا وَمَا هَـانُوا

أُنْظُـرْ لَنَـا بِالرِّضَـا وَالتَّـابِعِينَ لَنَـا مِمَّنْ قَصَوْا عَنْ تَلَاقِينَا وَمَـنْ دَانُـوا

وَكُـنْ وَسِـيلَتَنَا فِـي جَـذْبِ أَنْفُسِـنَا حَتَّـى يَتَوِّجَهَـا عَفْـوٌ وَغُفْـرَانُ

يَا سَيِّدَ الرُّسْـلِ يَـا مَـنَ لَا نَظِيـرَ لَـهُ وَمَـنْ لَـهُ عِنْـدَ مَـنْ وَلَّاهُ سُـلْطَانُ

وَمَنْ هُوَ الأَصْلُ فِي الأَكْـوَانِ قَاطِبَـةً وَمَـنْ تَجَلِّيـهِ أَزْمَـانٌ وَأَكْـوَانُ

تَجَلِّيَـاتُ صَـلَاةٍ أَنْـتَ قِبْلَتُهَـا يَـا مَـنْ بِـهِ اِعْتَـزَّ قَحْطَـانٌ وَعَـدْنَانُ

تَغْشَـى جَنَابَـكَ أَنْـوَارٌ مُقَدَّسَـةٌ لَهَـا عَلَـى هَامَـةِ التَّبْجِيـلِ تِيجَـانُ

وَآلَـكَ الطُّهْـرَ وَالأَصْـحَابَ كُلَّهُـمُ مَـا دَامَ لِلفَلَـكِ العُلْـوِيّ دَوْرَانُ

وقال الخليفة أحمد بن إدريس، في مدح الإمام الختم، رضي اللّه عنه :

أيا سيدي عثمان يا علم الهدى ... وبدر الدجى بين النجوم الزواهر

وشمس سماء الأفق في داجن البلا ... إذا ضلت الآراء من كل ماهر

ودور رحاء الكون في عصرنا وما ... أرى أن تقييدي إليك بحاجر

فيا صاحب الإطلاق في كل مشهد ... كريم نزيه عن لحوق مشاهر

ويا وارثاً نور الكمال المحمدي ... على الإقتداء السامي لكل معاصر

ويا شارباً من سلسبيل معارف ... علت وغلت عن إدراك كل مكابر

ويا صاحباً ذيل الإحاطة والولاء ... على الأولياء من صاغرهم وكابر

ويا جالياً ليل الدياجي بنوره ... وعلم لدني سما عن مناظر

فكم فزت بالعرفان بين أولى ... النهى وأسقيت بالإمداد كل مسامر

وأرشدت للدين الحنيفي أمة ... تنوف عن التعداد من كل حاصر

وأوصلت أقواماً إلى اللّه كلهم ... غذوا في سنام المجد حكم الجواهر

وشيدت بالتأييد قوماً كأنهم ... بدور تجلت في سماء المظاهر

وأتحفت بالأسرار من شئت بالثناء ... ضياءً ونوراً خلف حجب الستائر

وكم لك عند اللّه والجد أحمد ... رسول الهدى من نعيم وبشائر

ومن نعم كبرى تضيق لذكراها ... صدور الورى إذ ما تمر بخاطر

لمشهدها تعنوا الفجول ودونها ... تتيه أولوا العرفان أهل الدوائر

ولقبك المختار بالختم فاقتدى ... بك الكل مأموماً بغيب وظاهر

وإلبست تاج العز والود والذي ... سما عزه عن لاحق ومفاخر

ومعك رسول الله في كل لحظة فيالك من عز منيع المصادر
يا لك من فخر ويا لك من ثناء ويا لك من مجد خفي وظاهر
تقر به الأرض البسيطة والسماء وتجهله الجهال عمي البصائر
وما ضر شمس الأفق في فلك العلى جحود عيون ما لها من نواظر
ومن خير بيت أنت من خير بلدة ومن نسب عالٍ شريف وطاهر
لك الحسب الأعلى الأعم الذي له تقر الورى جمعاً بأولى وآخر
إذ قيل من أهل السيادة والولاء ومن أهل دين الله بين العشائر
توحد قول الكل فيكم بإنكم أهل الولاء من كل بدو وحاضر
أولئك المراغنة الذين تبوَّءُوا مقاعد صدق بين جند الأكابر
وفضلهم طارت به ألسن الثناء بشرق وغرب عند بدو وحاضر
ألا يا أبي شمس الهدى حسن العلى ووالد سر الختم سر السرائر
ووالد بحر الفيض جعفر ذا الندى ووالد سادات نجوم زواهر
ثناك لا يحصى وسطره الأولى بكتبهم في متقنات الدفاتر
فإنك معروف الكرامة في السماء وفي الأرض يا ماء الوجوه النواظر
وما ضر قدح فيك يا منبع الهدى إذ كنت بحراً بالمعارف زاخر
إذ وسع الرحمن قلبك كيف لي بمدحك ما شاء أن يمر بخاطر
وكيف أرجي أن أحوم بسوحكم وأطرق أبواباً ذهت بالحضائر
فإنك من طه المكرم رحمة كما هو من مولاه قطب الدوائر
ولم أقل فيما قلت فيك وأنا عن الشرح في معناك أقصر قاصر

إذا كان يوم الحشر يظهر فضلكم لكل الورى من مزعن ومكابر
وترجو جميع العالمين نداكمو لدى جدكم يس كنز الذخائر
وتغمر رحماكم جميع الورى فما تغادر منهم جحود وشاكر
فيا ختم أهل الله يا قمر الدجى ويا عروة الإيمان يا خير ناصر
سألتك بالجد المكرم أحمد شفيع الورى غوث اللَّهيف المحاذر
فاكشف بحق المصطفى داجن البلا عن الأهل والأبناء ومكر الماكر
وخلصهم من ورطة طال كربها واجمعهم كُلاً بخير المحاضر
واصلحهم وأصلح بهم ذمر الورى وأيد بهم دين الهدي بالبواتر
وأكشف عن الأخوان ما دهموا به من الهم والغم العظيم المحاصر
وأحيي طريق القوم بعد دروسه فقد صار ممحو الرسوم وداثر
فأنت لدي المختار ابن مبجل وليس إذا شفعت فينا بضائر
فاسرِع وغث وانشل فأنا بحالة يرق لها قلب العدو المحاجر
وغث رقكم يا سيدي بعناية تزكي بها نفسي وتصلح سرائر
وترضى بها شيخي ابنك حسن الرضى علي فيحبوني بكل البشائر
ويجعلني مجلاه فضلاً ومنة ويحرسني من كل أمر مغاير
ويرزقني أدب القرآن تكرماً علي حسب الأنفاس في كل صادر
ويحرسني من كل سوء يؤمني لدى الدين والدنيا و كل الكبائر
ويجمع لي شرعي وعقلي بقوة إلهية تنمو بلحظ النواظر
على قدم المختار طيه محمد بمحض عطاء الفضل يا هدى الحائر

فأصبح مسروراً بسر وجودكم   دواماً إلى أبد الآباد من غير حاجر
على أحمد المختار صلَّى إلهنا   دواماً متى ما لاح برق لناظر
وسلَّم تسليماً وارضا كموا به   جميعاً دوام الدهر في غير آخر

وقال الخليفة الشيخ البشير، الملقب بـ[الترابي]، في مدح الإمام الختم :

يَا رَبِّ ارْضَ عَنِ الخَتْمِ الَّذِي ظَهَرَا   بَيْنَ الأَمَاجِدِ وَالسَّادَاتِ وَالأُمَرَا
قُطْبِ الزَّمَانِ وَغَوْثِ الدَّهْرِ مُنْفَرِدَا   مِيزَابِ رحْمَةِ رَبِّ العَرْشِ للفُقَرَا
سُلَالَةٌ مِنْ رَسُولِ اللَّه عِتْرَتُهُ   بِاللَّه تَاللَّه حَقَاً لَيْسَ فِيهِ مِرَا
يَجْلِسْ مَعَ النَّاسِ لاَ تَمْيِيزَ بَيْنَهُمُ   إِلَّا بِنُورٍ لَهُ بَيْنَ المَلأَ ظَهَرَا
يجْلِسْ يُخَاطِبُهُمُ لِكَيْ يُعَلِّمَهُمُ   ثَغْرَاً نَضِيدَاً وَنُطْقَاً يُشْبِهُ الدُّرَرَا
يُفِيدُهُمْ فِي عُلُومٍ لَا نَظِيرَ لَهَا   عِلْمَ الحَقِيقَةِ والشَّرْعَ الَّذِي ظَهَرا
وثَانِياً فِي حَدِيثِ المُصْطَفَى وَفِي   كُتْبِ التَّفَاسِيرِ ثُمَّ النَّحْوِ وَالسِّيَرَا
فَاقَ الأَكَابِرَ فِي عِلْمٍ وَفِي عَمَلٍ   وَلَمْ يُدَانُوهُ فِي رَسْمٍ وَلَا فَخَرَا
الشَّاهِدُ الطَّاهِرُ الأُسْتَاذُ مِنْ قِدَمٍ   النَّاسِخُ الرَّاسِخُ الأَسْرَارِ وَالغِيَرَا
العَالِمُ العَامِلُ المَتْبُوعُ فِي عَمَلٍ   القَائِمُ اللَّيْلِ بِالأَقْدَامِ وَالسَّهَرَا
يَا مُنْكِرِينَ عَلَى الخَتْمِ الَّذِي ظَهَرَا   بُشْرَاكُمُ بِعَمَاءِ القَلْبِ وَالبَصَرَا
فَهَلْ لَكُمْ مِنْ أَبٍ فِي الحَشْرِ يُرْجَى   لَهُ جَاهٌ إِذَا مَا العُصَاةُ يُلْقَوْنَ فِي سَقَرَا
أَوْ هَلْ لَكُمْ مِنْ شَفِيعٍ فِي المَعَادِ إِذَا   ضَاقَ الخِنَاقُ عَلَى الأَبْرَارِ وَالفُجَرَا
فَكَيْفَ يَا خَاسِرُونَ تُنْكِرُونَ عَلَى   مَنْ رَافِلٌ فِي ثَوْبِ الهَنَا فَخَرَا

يَكْفِيكَ فِي فَخْرِهِ إِنْ كُنْتَ ذَا أَدَبٍ لِأَنَّـهُ مِـنْ بَنِـي السِّـبْطَيْنِ وَالزَّهْـرَا

أَهْـلُ المَقَـام وبَيْـتٍ عِنْـدَهُ حَـرَمٌ وَزَمْزَمَ وَالصَّفَا وَالحِجْـرِ وَالحَجَـرَا

ثُمَّ الصَّـلَاةُ عَلَـىَ المُخْتَـارِ خَاتِمَـةٌ مَا لَاحَ بَرْقٌ وَهَبَّتْ نَسْـمَةُ السَّـحَرَا

وقال الخليفة أبو بكر ود المتعارض، في مدح الإمام الختم:

سَلَامُ التَّجَلِّـي فـي رَفِيـعِ الْحَضَـائِرِ عَلَى رُوحِ خَتْمِ الْقَوْمِ قُطْبِ الـدَّوَائِرِ

أَبَـرْقٌ مِـنَ الإِطْـلَاقِ لَاحَ لِنَـاظِرِي أَمِ النُّورُ مِنْ مَـوْلَايَ عَمَّـمَ سَـائِرِي

أَمِ الْحضْـرَةُ الْعُلْيَا تَجلَّـتْ فَـأَبْرَزَتْ هَيَاكـلَ أَنْـوَارٍ سَـمَوْا فِـي الضَّـمَائِرِ

وَيَاقُوتَـةُ الآزَالِ مَـا زَالَ مُلْكُهَـا إِلَـى أَبَـدِ الآبَـادِ فَـوْقَ الْعَنَاصِـرِ

وَكَانَـتْ تُسَمَّى قَبْضَـةَ النُّـورِ أَوَّلاً وَتُدْعَى تَجَلِّي الذَّاتِ خَلْفَ السَّتَائِرِ

إِلَـى أَنْ تَبَـدَّى سِرُّهَا مِـنْ غُيُوبِهَـا بِحَضَــرَاتِ أَسْـمَاءٍ وَكُـلِّ الْمَظَـاهِرِ

فَـدَارَ عَلَيْهَـا فِـي جَوَامِـعِ عِزِّهَـا بِهَا فَلَكُ الأَسْمَاءِ سَـامِي الْمَفَـاخِرِ

وَعَنْهَا كَمَالَاتُ الصِّفَاتِ تَفَجَّـرَتْ بِبَحْـرٍ مُحِـيطٍ فـي الْبَـوَاطِنِ زَاخِـرِ

تَــنَفَّسَ هَــذَا الْبَحْــرُ أَبْــرَزَ دُرَّةً سَمَتْ عَنْ عُلُومِ الخَلْقِ لَا كَالْجَوَاهِرِ

سَنَاهَا أَضاء الْكَوْنَ مِنْ فَـوق عَرْشِـهِ إِلَى الْفَرْش بَلْ تَحْتَ الثَّرى والزَّواجِرِ

وَهَـذا خِتَـامُ الْقَـوْمِ بَـابُ شُـهُودِهَا أَبَوْهَـا أَخُوهَـا وابْنهَـا فـي الأَ وَامِـرِ

حَلِيفُ النَّدَىجَالِي الصَّدَى مَنْبعُ الْـ ـهُدَى مزِيلُ الرَّدى مَا إِنْ لهُ مِنَ مُشَاطِرِ

مَنِيعُ الْحِمِى مُرْوِى الظمأ بَحْرُهُ طَمَا بِقَـدْرٍ سَـمَا فَـوْقَ السُّـراةِ الأَكَـابرِ

عَظِيمُ الرَّجَا نُورُ الدَّجى فَاتِحُ الْحِجَـا وَكَهْفُ التجا مَنْ لَاذَ بل كُـلُّ حَـائِرِ

نسيمُ الصَّبَا أخلاقُهُ حُسْنُه رَبَا مُحَيَّاهُ أضوى مِنْ شمُوسِ الهواجر

عَلَى جِسْمه الأنْوارُ حَقًّا تراكمَتْ تُشَاهَدُ بِالأَبْصَارِ وفْقَ الْبَصَائِرِ

وَمَسْقِيَةٌ بالسِّرّ والبِرِّ ذَاتُهُ يَنَابِيُعهَا فَاضَتْ بِغَيْبٍ وَظَاهِرِ

بِدَايَاتُهُ فَوْقَ النِّهَايَاتِ كُلِّهَا أَفَاضَ عُلُومًا لا تُعَدُّ لِحَاصِرِ

وَمِنْ قَبْلِهِ مَا فَاهَ بِالسَّطْحِ عَارِفٌ وَلا بِالْبِسَاطِ الأَحْمَدِي وَالنَّوُادِرِ

كَمْرتَبَةِ الأَجْرَاسِ وَالْبَابِ وَالَّذِي كَتَمْنَاهُ خوْفًا مِنْ حَسُودٍ وَضَامِرِ

وَكُلَّ إنَاءٍ بِالَّذِي فِيهِ نَاضِحُ لِهَذَا اعْتَقَدْنَا أَنَّهُ ذُو الْبَشَائِرِ

وَأنَّ إشَارَاتِ الَّذِينَ تَقَدَّمُواْ إِلَيْهِ وَمِنْ مِشْكَاتِهِ كُلُّ نَاظِرِ

تَبَحَّرَ فِي عِلْمِ الْحَقَائِقِ بَلْ أَرَى إلى الْخَتْمِ هَذَا مُنْتَهَى كُلِّ مَاهِرِ

بِهِ شَيْخُهُ نَالَ الْمَراتِبَ كُلَّهَا بِهِ فُتِّحَتْ أَبْوابُ كُلِّ الْحَضَآئِرِ

دَوَاوِينُ مُلْكِ اللهِ مَا بَثَّ عِلْمُهَا سِوَاهُ وَمَنْ يَقْفُولَه فِي الْمآثِرِ

مَقَامَاتُهُ فِي حَضْرَةِ الذَّاتِ حُرِّمَتْ عَلَى غَيرْ أُسْتَاذِي مَلِيكِ الأَوَاخِرِ

سَفِينَةُ هَذَا الْخَتْمِ فِي بَحْرِ جَدِّهِ تَسِيُر إِلَى مَا لا يَمُرُّ بِخَاطِرِ

لَهَا فِي مَيَادِينِ الشُّهُودِ مَرَاتِعُ تَسَامَى عَلَى هَذَا الْوُجُودِ الْمُبَادِرِ

وَغَادَر كُلَّ العَارفينَ بِبَابِهِ سُكَارَى حيَارَى مِنُ شُهودِ الْمُبَاشِرِ

لَه أذْعَنواْ بِلْ أيْقنُوا أَنَّهُ لَهُمْ أَمَانٌ مِنَ الْمَكرِ الْخَفِّي الْمَغَايِرِ

عَلَيْه رَحَا كُلِّ الْبَواطِنِ دَوْرُهَا كَمَا إنَّهُ سُلْطَانُ كُلِّ الظَّوَاهِرِ

وَفَوْقَ مِنَصَّاتِ الْحَضَائِرِ قَدْ عَلاَ وَمِنُهُ اسْتَعَارَ الْفَضلَ أَهْلُ الْمَنَابِرِ

عَدِيمُ نَظِيرٍ فِي الْوجُودِ بِأَسْرِهِ وَكُلُّ أَمِيرٍ عِنْدَهُ كَالأَصَاغِرِ

فَيَـا خَـتْمَ كُـلِّ الْعَـارِفِينَ بِـلاَ مِـرَا وَميـزَابَ شُـرْبِ الأ وليـاء الأكَـابِرِ
وَيَا سَيِّدَ الأَغْوَاثِ يَا بَـابَ فَيْضِـهِمْ وَيَـا أكْمَـلَ الأفـرادِ يـا ذا الْمُفَـاخِرِ
ذِرَاعُ تُــرَابٍ لا يُوَاريــكَ سَــيِّدِي بَلِ الْفَيْضُ يَجْرِى مِنُكَ لَوْ فِي الْمَقَابِرِ
أُمِرْتُ بِهذَا الْمدحِ كَـيْ أَسْـتِقَى بِـهِ شَرَابًا طَهُورًا مِنْـكَ يـا نُـورَ نَـاظِرِي
وَمِـنْ قَبْلِـهِ أُخْبِـرْتُ أَنَّ جَنَـابَكُمْ سَـقَانِي فَيَـا مَـوْلاَي نَـوِّر سـرائري
فُبْشَراي يَا خَـتمَ الْوِلاَيَـاتِ خُصَّـنِي بِأعْلى التَّرقي في الْحِجَابِ الْمُحَاصَرِ
وَقُلْ لي ابْتَدَاءُ الْفَتْحِ لاَ شَكَّ عِنْـدَنَا يُوَافِيكَ فَوْقَ السَّطْحِ فَابْشِرْ بِخَاطِرِي
وَقُـلْ أنْـتَ مِنَّـا مُـدْرَجٌ فـي ذَواتِنَـا فكُنْ قَلْبَنَا وَادْخَل بِنَا فِي الْحضَـائِرِ
رَضِـيِنَاكَ ابْنًـا بَـلْ جَعَلْنَـاكَ نَفْسَـنَا ظُهُـورًا بُطُونًـا فـي ابتـداء وَآخِـرِ
إلهي تجلّى الذَّاتِ بِالـذَّاتِ ينجلـي عَلَى ذَاتِ أستاذي رَفِيـعِ الْمَظَـاهِرِ
وَبِالذَّاتِ وَالأَسْمَاءِ وَالْوَصْفِ مُطْلقًا صَــلاَةً عَلَــى مَــنْ للْبَــوَاطِنِ نَــاظِرِ
إمَـامِ جَميـعِ الْعَـالَمِينَ مُحَمَّـدٍ عَظِيمِ التَّجَلّـي فـي غُيُـوب وَظَـاهِرِ
وَآلٍ وَأصْـحَابٍ مَتَـى قَـالَ مُنْشِـدٌ سَلاَمُ التَّجلِّـي فـي رَفيـع الْحَضَـآئِرِ

وقال الشيخ قريب الله بن أبي صالح الطيبي السماني، في مدح الإمام الختم:

أنخ الفؤاد بكعبة الإحسان ... قطب الوجود الميرغني عثمان

نجل الرسول محمد خير الورى ... غوث البرية إنسها والجان

السيد البطل الشهيد أخى الندا ... من حبه فرض على الأعيان

لا تعجبوا فهو القريب من النبي ... ومحبة القربى من الإيمان

الزاهد الورع الرفيع مكانة ... العاشق الصب الحبيب الداني

الصائم القوَّام فى جنح الدجى ... من سره يجلو صداء الران

غوث الورى الداعي لحضرة ربه ... غيث الندى الساقي لكل جنان

السائر الهادي إلى رب العلا ... بالسنة الغراء والقرآن

وإمام أهل الحق والنور الذي ... ملأ القلوب وفاض بالأركان

العارف الحبر العليم بدينه ... أستاذ أهل الفضل والعرفان

بحر العلوم خفيها وجليها ... والترجمان لغامض التبيان

وهو الولي ابن الولي ورشده ... عمَّ الورى قاصيهم والداني

وهو الرؤوف بكل عبد رحمة ... ووراثة من جده العدناني

صبت سحائبه بجودٍ نافعٍ ... عمَّ الوهاد وسال بالوديان

السادن الختم السري المجتبى ... والمنتقى والسيد السلطان

القائد الركب الكريم لربه ... والهازم الأعداء فى الميدان

كشف الحجاب له فأبصر ربه ... بالقلب بيت الواحد الديان

أكرم به من بيت عزٍ طاهرٍ ... وسع المنزه عن شريكٍ ثان

وسـعت زوايـاه السـموات العـلا والعــرش والكرســي والــثقلان
الوالــد الحســن الشــريف وجعفــرٍ الكــاملين أئمــة الإيقــان
المــانح الحــب المريــد ســلافة عصــرت مــن التوحيــد لا الرمــان
ســلفت بهــا أســلافه فتورثــت من جده المحجوب عــالي الشــان
العاشق البكّاء فـى جـوف الـدجى ذو الحــب والأشــواق للــرحمن
ذو الصـدق والسير الحثيـث لربـه مــولى الهـدى والعـارف الربـاني
ذو التاج والخلع المهيبة فى الـورى ذو الحــال والتفريــد والألــوان
أكــرم بحبــرٍ ظــاهر برهانــه غنّــت بلابلــه بغصــن البــان
عبقـــت روائحـــه فاستنشـــقت مــن عرفهــا السـعداء بكـل مكـان
لـم يكتـف بشـريف نسـبته إلـى خير الـورى بـل جـد فـى الميـدان
يمسي ويصبح فـى رضـاء مليكـه طــول الحيــاة لكــل مجــد بــان
مــن ذروة المجــد الرفيــع بنـاؤه فهــو المــدام لهــم مــدى الأ زمــان
جمعت له كل الفضـائل وانطـوت فــي صــدره كالنبــت فــي البســتان
المــورد العــذب الهنــي شــرابه شــمس الفــلاح ومعـدن الإحســان
المنهــل الفيــاض والبحــر الــذي عــمَّ الربــا بالخصــب والفيضــان
الشــهم والبطــل القــوي جنانــه عنــد اللقــاء وتلاطــم الفرســان
والعــارف الحبــر الفصــيح لســانه إن قــام يخطــب فــي المــلأ ببيــان
الــذاكر الــورع المجــاب دعــاؤه إن قــام يســأل حضــرة الــرحمن
مــا قــال لا عنــد السـؤال لسـائلٍ يومــاً ولــم يــركن لشــىء فــان

كـــلا ولا جنحـت حقيقتـه إلــى عــيش الحيــاة وراحــة الأبــدان

حـــرم منيـع الســور لـيس تنالــه أيـدي البغــاة بــأي أمــر شــاني

مـــا شـــانه غـــر مريــب كـــاذبٍ إلا وخـــــاب وآب بالخســــــران

مـــا ضـــره قـــول الكـــذوب وإفكـــه والحـــر مضـــغة كـــل ذي نقصـــان

فلكـــم رمـــوا أهـــل الولايـــة قبلـــه بالســــحر والتلفيــــق والبهتـــــان

أنظـــر لقـــول الأغبيـــاء ونفـــيهم أنســـاب عبـــد القـــادر الجيلانـــي

مـــع أن قطـــب العـــارفين أتـــى بهـــا الأســتاذ محيــي الــدين ذو العرفــان

وســـــواء قــــوم ســــابقون وبعـــده مـــن أوليــاء كالعـــارف الشـــعراني

أفكـــان هـــذا الثـــور أعـــرف ســـيرة مـــــن هــــؤلاء الســــادة الأعيـــان

لكـــن مكفـــوف البصـــيرة لا يـــرى وجـــه الـــدليل وصـــحة البرهـــان

فكأنه الخفاش ينكـر فـى الضحى ضـــوءاً ويبصـــر ظلمــة الأكـــوان

أو كالمريض لدى الأطبة لـم يـذق طعـــم الحلـــى كحالـــة الزكمـــان

يؤذيه عطـر الـورد والطيـب الـذي جبلـــت عليـــه طبيعـــة الأنســـان

وقلـوب أصـحاب الجحـود بعيـدة عن ذوق أهـل المشـهد الصـمداني

كـــالنور والظلمـــاء ضـــدان ولـــم يمكـــن بحـــال يجمـــع الضـــدان

فلـــذاك تطفـــح بـــالخلاف ســـجية لبقائهـــا فـــي العـــالم الظلمـــاني

والخلف ليس بمسمع إن كـان مـن غضـــب النفـــوس وشـــدة الغليـــان

وإذا وزنـــت مقـــالتين ورجحـــت إحـــداهما فـــالحكم للرجحـــان

وهل الخسيس مع الشريف مكانـة أو نســبة فـــى الفضــل يســتويان

فالعدل والإنصاف حكم واجب ... يفضى بصاحبه إلى الإحسان

دع عنك جاحد فضل آل محمد ... سبب الوجود وصفوة الرحمن

وارفض مقالة جاحد قد قالها ... بالغيظ لا من لفظة اليقظان

سيشيم شؤم وقوعه فى عرض من ... لم يخالف فى فضله اثنان

إلا غبي مثله صحبته من ... أجل الشقاء قطيعة الحنان

فيظل يحكم بالهوى مهما يشاء ... ولذاك ينكر جائز الإمكان

ودليله لجحوده من نفسه ... ويمده جند الهوى الشيطاني

ترك الشريعة والحقيقة عامداً ... متمسكاً بمذاهب البطلان

هلا رعى حرمات ضيف إلهه ... والله يحفظ حرمة الضيفان

قل للمعلم أنت يا بلدينا ... أفهل يجوز الطعن فى دحلان

العالم المكي جار الهنا ... والعامل المنسوب للعدناني

والعارف الحبر المبلغ شرعة ... الهادي الرسول وواحد الأعيان

أرايت إن أخا الجهالة والذي ... بالعلم يوصف في الورى سيان

أنا لأهلك والشريف أمامنا ... لا تؤذنا وانظر الى الجيران

ما بغض آل البيت يعرف سابقاً ... فى بيتك المعروف بالإيمان

واغنم جواب الشرط فى أن ... تنصروا تظفر بوعد جاء فى القرآن

ولفضل آل محمد جاءت به ... السنة الغراء مع الفرقان

فانظر لقصة مالك ولعفوه ... لما أُذي والحال ليس بجان

فعفا عن المنصور ذاك لأنه ... من آله وأجاز بالإحسان

ومحمـــد تؤذيـــه أذيـــة آلـــه   والمســلمين فخــذ صحيح بيــان

ولتســتعد مــن فعلــة لحلابــس   نيطــت بهــا مــن ظلمــة الأكــوان

وحلابــس غطــى عليهــا حنــدس   أذت النبـــي بآلـــه الأعيـــان

وحلابــس لقــد ألبســت لملابــس   مــع شــدة الأنــوار والســطعان

مــع أنهــا رأت العقوبــة عــاجلاً   يــا ليتهــا فطنــت عقوبــة جــاني

يــا ويحهــا لبســت ثيــاب مذلــة   تمشــي بهــا فــى خســة وهــوان

لــم تعتبــر كيمــا تتــوب لربهــا   والغــر لــم يفطــن لأمــر شــاني

وهــو العقوبــة فــى القيامــة حيــث   لــم يــأت الإلــه بموجــب الغفــران

الختــم طــاب وفــاح نشــر ختامــه   خبـــث العـــدو وآب بالخســـران

دم يــا محمــد طيبــاً يــا طيبــاً   مــن طيــب يــا خــاتم العرفــان

فلأنـــت وراث أحمـــد وعلومـــه   والمهتـــدي بهـــداك والنـــوراني

ولأنت بــدر فــى الوجــود وشمســه   ولأنـــت نـــور العجــم والعربـــان

ولأنــت طــود الأرض فــى ميــدانها   ولأنـــت بحـــر الـــدر والمرجـــان

ولأنـــت غيـــث للبريـــة مطلقـــاً   ولأنـــت غـــوث التائـــه الحيـــران

ولأنـــت رحمـــة ربنـــا وهدايـــة   جــذبت لهــا أهــل النهــى بعنــان

ولأنـــت حـــزب الله وقائـــد جيشـــه   أثـــر الرســـول لجنـــة الرضـــوان

ولأنـــت بـــاب الله ســـادن ســـره   ولأنـــت أرجـــى مـــن نـــدى نيســـان

ولأنـــت بحـــر حقيقـــة وشـــريعة   وطريقـــة ظهـــرت بكـــل مكـــان

شهدت بفضلك كل أربـاب التقـى   فـــي مكـــة فـــي مصـــر فـــي الســـودان

ملئت ضلوعك بالإله وحبه وثناؤكم باد بكل لسان
ماذا يكون بيان مدحى فيكم ومديحكم في الذكر والقرآن
فهمي تضاءل عن بيان صفاتكم يا سيدي فاقبضن لعناني
فاقبل بفضلك مدح عبد قاصر عن باع أهل المذهب الحساني
مدحي لكم حباً ولست لعلة ترجى ولا طلباً لأمر فان
مدحكتمو آي الكتاب ونوهت بثناكمو ملأ العلا الروحاني
كن لي شفيعاً في أمور خفتها واذكر لكم ذكرى فلا تنساني
فلانت أولى بالوفاء وأنت قد تولى العطاء لمحسن أو جان
ربي سألتك بالنبى وآله يا دائم المعروف والإحسان
عفواً وعافية وسيراً مشرقاً وتجلياً يغني عن الأكوان
والستر فى الدنيا وفى يوم اللقاء عند الصراط ووضعه الميزان
وامنن برؤيتك الكريمة منة لي والاحبة في أعلى جنان
وادم صلاتك والسلام على الذي هو رحمة للإنس أي والجان
خير الوجود محمد مع آله والصحب والاتباع أهل الشان
وامنن على العبد القريب برحمةٍ يحيي بها طرق الولي السمَّان
واقبل بفضلك شكره لجميلكم ولبعضه حب الولي عثمان